الجزء الثالث

في العمالات الكتابية

وما يشبهها وما ينضاف إليها

وفيه ثلاثة عشر باباً

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول
في كتاب الوحي[1]
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر أَسمائهم

قال القاضي محمد بن سلامة[2] القضاعي رحمه الله تعالى في كتابه «في أَنباء الأَنبياءِ عليهم السلام وتواريخ الخلفاء وولايات الملوك والأُمراء»: كان عثمان بن عفان وعلي بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنهما يكتبان الوحي، فإِن غابا كتب أُبيّ بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما. انتهى.

وقال[3] أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (٦٨) كان أُبي بن كعب ممن كَتَب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحيَ قبل زيدِ بن ثابت ومعه أَيضاً، وكان زيدٌ أَلزمَ الضحابةِ لكتابِ الوحي، وكان أُبي وزيد يكتبان الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال القاضي محمد بن سلامة: فإِن لم يحضر أَحدٌ من هؤلاء الأَربعة كتب مَنْ حضر من الكتاب وهم: معاوية بن أَبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاص، وأَبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرميّ، وحنظلة بن الربيع.

---

(١) اهتم الكثيرون بتدوين مؤلفات في كتاب النبي بعامة ومنهم القضاعي وعمر بن شبة ولابن حديدة الأنصاري كتاب «المصباح المضي في كتاب النبي الأمي» (انظر التراتيب الإدارية ١: ١٢٤).

(٢) م: سالمة.

(٣) هذه الفقرة سقطت من م.

وكان عبدالله بن سعد بن أَبـي سرح يكتبُ الوحيَ أيضاً فارتدَّ عن الإسلام ولحق بالمشركين، فلما فُتِحَتْ مكةُ استأمنَ له عثمانُ بن عفان ــ وكان أَخاه من الرضاعة ــ فأَمَّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحَسُنَ إسلامه. ولاه عمر مصر ثم أَقرَّه عثمانُ عليها، وخرج عنها حين تأَمَّر عليها محمد بن أبـي حذيفة، ومات بعسقلان؛ فهؤلاء كتاب الوحي. انتهى ما قاله القضاعيّ.

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه**: يأتي ذكره في باب الرسول.

٢ ــ **علي بن أَبـي طالب رضي الله تعالى عنه**: يأتي ذكره في باب القاضي.

٣ ــ **أُبـي بن كعب رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب الإمامة في قيام رمضان.

٤ ــ **زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه**: يأتي ذكره في باب كُتّاب الرسائل.

٥ ــ **معاوية بن أَبـي سفيان رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١٤١٦) معاوية بن أَبـي سفيان، واسم أَبـي سفيان: صَخر بن حَرب بن أُمية بن عبدشمس بن عبدمناف. أُمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى: أَبا عبدالرحمن، كان هو وأَبوه وأَخوه من مُسْلِمَةِ الفتح.

قال أَبو عمر: معاوية وأَبوه من المؤلَّفةِ قلوبهم. (١٤٢٠) وله فضيلةٌ جليلةٌ رُوِيَتْ من طريق الشاميين عن عِرباضِ بن ساريةَ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم عَلِّمْ معاويةَ الكتابَ والحسابَ وَقِهِ العذاب».

وهو أَحد الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وولاَّه عمر رضي الله تعالى عنه الشام بعد موتِ أَخيه يزيد. (١٤١٧) وورد البريدُ على عمرَ بموتِ يزيدَ، وأَبو سفيان عنده، فلما قرأَ الكتابَ بموت يزيد قال لأَبـي سفيان: أَحسن الله عزاءك

في يزيد ورحمه. ثم قال له أَبو سفيان: من ولَّيتَ مكانه يا أَمير المؤمنين؟ قال: أَخاه معاوية، قال: وَصَلَتكَ رَحِمٌ يا أَميرَ المؤمنين.

وفي «المعارف» (٣٤٥): كان يقال ليزيد بن أَبي سفيان: يزيد الخير، واستعمله أَبو بكر على الشام، ثم أَقره عمر بعده، حتى مات في خلافة عمر سنة ثماني عشرة.

قال أَبو عمر (١٤١٧): وأَقام معاوية على الشام أَربع سنين، ومات عمر فأَقرَّه عثمان عليها اثنتي عشرة سنة إِلى أَن مات، ثم كانت الفتنة فحاربَ معاويةُ علياً أَربع سنين.

قال ابن إِسحاق: وكان معاوية أَميراً عشرين سنة، وخليفةً عشرين سنة.
(١٤١٨) وذُمَّ معاويةُ عند عمرَ يوماً فقال: دعونا من ذمِّ فتى قريش، من يضحك في الغضب، ولا يُنال ما عنده إِلا على الرضى، ولا يُؤخَذُ ما فوق رأْسه إِلا من تحتِ قدميه.

(١٤٢١) وروى ابنُ شهابٍ بسنده عن المِسْوَر بن مَخْرمة[1] أَنه وفد على معاوية، قال: فلما دخلتُ عليه سلَّمْتُ، قال: فقال: ما فعل طعنُكَ على الأئمةِ يا مِسْوَر؟ قال: قلت: ارفضنا من هذا وأَحْسِنْ فيما قَدِمْنَا له، قال: والله لتكَلَّمَنَّ بذاتِ نفسك، قال: فلم أَدع شيئاً أَعيبُهُ إِلا بَيَّنْتُهُ له، قال: فقال: لا أَبرأُ من الذنوبِ، فما لك ذُنُوبٌ تخافُ أَنْ تُهلكَكَ إِن لم يغفرها الله لك؟ قال: فقلتُ: بلى، قال: فما جعلك أَحقَّ أَن ترجوَ المغفرةَ مني؟ فوالله لَما أَلِي من الإِصلاح بين الناس، وإِقامة الحدودِ والجهاد في سبيل الله، والأُمورِ العظام التي لستُ أحصيها ولا تحصيها أَكثرُ مما تلي وإِني لعلى دينٍ يَقبلُ الله فيه الحسنات، ويعفو عن السيئات، والله لَعَلَى ذلك ما كنتُ لِأُخَيَّر بين الله تعالى وبين ما سواه إِلا اخترتُ الله

---

(١) قارن بأنساب الأشراف ٤/١: ٣٦، ٤٧ وتاريخ بغداد ١: ٢٠٨ ومصنف عبدالرزاق ١١: ٣٤١ ـ ٣٤٥ وتاريخ الإِسلام للذهبي ٣: ٨٠.

تعالى على ما سواه، قال مسور: ففكرتُ حين قال ما قال فعرفتُ أنه خَصَمَني، قال: فكان إذا ذكره بعدُ دعا له بخير.

(١٤١٨) واختلف في تاريخ وفاته: فقيل توفي يوم الخميس لثمانٍ بقين من رجب سنة تسع وخمسين، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل في رجب سنة ستين، قيل في النصف منه بدمشق، ودفن بها وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة، وقيل ابن ستٍّ وثمانين سنة، وقيل لِأربع ليال بقين منه.

واختلف في مدة خلافته: فقيل كانت مُدَّتُهُ عشرين سنةً، وقيل تسع عشرة سنة وتسعة أَشهر وثمانية وعشرين يوماً، وقيل تسع عشرة ونصفاً، وقيل تسع عشرة سنة وثلاثة أَشهر وعشرين يوماً. انتهى مختصراً.

٦ ــ **خالد بن سعيد بن العاص**: يأْتي ذكره في باب العامل على الصدقة.

٧ ــ **أبان بن سعيد بن العاص**: في «الاستيعاب» (٦٢) في باب أَبان: [أبان] بن سعيد بن العاص بن أُمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي الأُموي: قال الزبير بن بكار: تأَخَّر إسلامُهُ بعد إسلام أَخويه خالدٍ وعمرو فقال فيهما[1]: [من الطويل]

أَلا ليت مَيْتاً بالظُّرَيْبَةِ[2] شاهِداً ... لما يَفْتَرِي في الدين عمرو وخالدُ
أَطاعا بنا أَمْرَ النساءِ فَأَصْبَحَا ... يُعينان من أَعدائنا من يكايدُ

وهو الذي أَجار عثمان بن عفان حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى قريش يومَ الحديبية، وحمله على فرسٍ حتى دخل مكة، وقال له[3]: [من المنسرح]

أَقْبِلْ وأَدْبِرْ ولا تخفْ أَحداً ... بنو سعيدٍ أَعِزةُ الحرمِ

ثم أَسلم أَبان وَحَسُنَ إِسلامُهُ، وكان إسلامه بين الحديبية وخيبر، وأَمَّره رسول

---

(١) البيتان في نسب قريش: ١٧٥ وياقوت والبكري (الظربية) وأسد الغابة ١: ٣٥، ٤: ١٠٨ والإصابة ٤: ٣٠٠.

(٢) ط: بالعريمة (وغير واضحة في م).

(٣) البيت في نسب قريش: ١٧٥ وأسد الغابة ١: ٣٥ والإصابة ١: ١٠.

الله صلى الله عليه وسلم على بعضِ سراياه، منها سريّةٌ إلى نجد، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبان بن سعيد بن العاص على البحرين برِّها وبحرِها إذ عزل العلاءَ بن الحضرميّ عنها، فلم يزل عليها أَبان إلى أن تُوُفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واختلف في وفاته: فقيل يوم أَجْنادَيْن في جمادى الأُولى سنة ثلاث عشرة في خلافة أَبي بكر، وقيل يوم مَرْج الصُّفَّر سنة أَربع عشرة في صدر خلافة عمر، وقيل يوم اليرموك؛ وهو قول ابن إِسحاق ولم يتابَعْ عليه، وكانت اليرموك في رجب سنة خمس عشرة في خلافة عمر.

تنبيــه:

قال أَبو عمر في «الاستيعاب» (١٠٨٦) في باب العلاء: ولَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم العلاءَ بن الحضرمي البحرين، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليها، وهذا خلافُ ما ذكره هنا. انتهى.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

المسألة الأُولى: في «المشارق» (١: ٢٢٠ ـ ٢٢١) الحُدَيْبِيَة بضم الحاء وتخفيف الياءين، الأُولى ساكنة والثانية مفتوحة وبينهما باء بواحدة مكسورة، كذا ضبطنا عن المتقنين، وعامةُ المحدّثين يقولونها بتشديد اليـاء الأَخيرة، وهي قـريةٌ ليست بالكبيرة، أَسفلَ مكة، منها إِلى مكة مرحلة، قال مالك: وهي من الحَرَم، وحكى ابنُ القصَّار: أَن بعضَها حِلٌّ. والحديبية التي سميت بها هي البئر التي هناك عند مسجدِ الشجرة.

المسألة الثانية: في «معجم البكري» (١١٤): أَجْنَادَيْن ـ بفتح الهمزة وبالنون والدال المهملة بعدها ياء ونون على لفظة التثنية كـأَنـه تثنية أَجناد ـ موضعٌ من بلاد الأُردن بالشام.

المسألة الثالثة: في «معجم البكري» (٨٣٧): مرج الصُّفَّر ـ بضم الصاد

المهملة بعدها الفاء أُخت القاف مفتوحة مشددة بعدها راء مهملة، موضع معروف. انتهى.

٨ ـ **العلاء بن الحضرمي رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (١٠٨٥) يقال: اسم الحضرمي: عبدالله بن عماد، ويقال عمار، ويقال: ابن ضمار. ونسبه بعضهم فقال: هو العلاء بن عبدالله بن عماد بن أكبر بن عويف بن مالك بن الخزرج بن أُبيّ بن الصَّدِفِ، وقيل: الحضرمي والد العلاء: هو عبدالله بن عمّار بن سليمان بن أكبر، وقيل: عماد بن مالك بن أكبر. قال الدارقطني: وزعم الأملوكيّ[١] أنه عبد الله بن عباد[٢]: فصَحَّفَ[٣]، ولا يختلفون أنه من حضرموت، حليف بني أُمية.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث العلاءَ بن الحضرمي إلى المنذرِ بن ساوى ملكِ البحرين، ثم ولاَّه على البحرين إذ فتحها الله عليه، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليها، فأقرَّه أبو بكر خلافتَهُ كلَّها، ثم أقرَّه عمر رضي الله تعالى عنه. وتوفي في خلافة عمر، قيل: سنة أربع عشرة، وقيل: سنة إحدى وعشرين. واستعمل عمر مكانه أبا هريرة.

قال أبو عمر (١٠٨٦): ويروى عن موسى بن أنس أن أبا بكرٍ ولَّى أنسَ بن مالكٍ على البحرين وهذا لا يعرفُهُ أهل السير. قال ويقال: إن عمر ولَّى العلاءَ البصرةَ فمات قبل أن يصلَ إليها بماء من مياه بني تميم سنة أربع عشرة.

ويقال: إنه كان مجابَ الدعوة، وإنه خاض البحرَ بكلماتٍ قالها ودعا بها وذلك مشهور عنه. انتهى.

وفي «مختصر حلية أبي نعيم الأصبهاني» (١: ٢٩٠) لأبي الفرج الجوزي

---

(١) الأملوكي: نسبة إلى أملوك وهم بطن ينتهون بنسبتهم إلى رعين: ومنهم الضحاك بن زميل الأملوكي، يروي عن ابن عباس.

(٢) م: عماد.

(٣) ط: مصحّف.

رحمهما الله تعالى: العلاء بن الحضرمي، واسم الحضرمي: عبدالله بن عماد بن سليمان من حضرموت، أَسلم قديماً وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى العبدي بالبحرين بكتابٍ يدعوه فيه إلى الإسلام. وولاَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين ثم عزله عنها، وولاَّها أَبانَ بن سعيد، ثم أَعاد أَبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه العلاءَ إلى البحرين؛ وكتب إليه عمر: أَن سِرْ إلى عُتبةَ بن غَزوان فقد وَلَّيْتُك عمله، يعني البصرة، فسار إليها فمات في الطريق سنة إحدى وعشرين، وقيل أَربع عشرة، وقيل خمس عشرة.

وعن قدامة بن حماطة قال: سمعتُ سهم بن منجابٍ قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارِين فدعا بثلاثِ دَعَواتٍ، فاستجيبَ له فيهنّ: نزلنا منزلاً فطلب الماء يتوضأ فلم يجدْه فقام فصلَّى ركعتين وقال: اللهم إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم اسقنا غيثك لنتوضأَ منه ونشربَ، فإذا توضأنا لم يكنْ لِأحدٍ نصيب غيرنا، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماءٍ حين أَقلعت عنه السماء فتوضأنا منه وتزوَّدنا وملأتُ إداوتي وتركتها مكانها حتى أَنظر هل استجيب له أَم لا، فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي: نسيتُ إداوتي، فجئتُ إلى ذلك المكان وكأَنه لم يُصِبْهُ ماءٌ قط، ثم سرنا حتى أَتيْنَا دارين والبحرُ بيننا وبينهم فقال: يا عليمُ يا حكيم، يا عليّ يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً، فتقحم البحرَ فخضناه ما يبلغُ لُبُودَنَا، فخرجنا إليهم، فلما رجع أَخذه وَجَعُ البطنِ فمات، فطلبنا ماءً نغسله به فلم نجده، فلففناه في ثيابه ودفناه. فسرنا غير بعيد فإذا نحن بماءٍ كثيرٍ فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فاستخرجناه فغسلناه، فرجعنا فطلبناه فلم نجده، فقال رجلٌ من القوم: إنه سمعته يقول: يا علي يا عظيم، يا عليم يا حكيم، أَخفِ عليهم موتي، أَو كلمةً نحوها، ولا تطلع على عورتي أَحداً، فرجعنا وتركناه.

وعن عمرو بن ثابت قال: دَخَلَتْ في أُذنِ رجلٍ من البصرة حصاةٌ فعالجها الأَطباء فلم يقدروا عليها حتى وصلتْ إلى صماخِهِ، فأَسهرتْ ليله، ونغَّصَتْ عَيشَ

نهاره، فأتى رجلاً من أصحاب الحسنِ فشكا إليه ذلك فقال: ويلك إن كان شيء ينفعك الله به فدعوة العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر وفي المفازة، قال: وما هي يرحمك الله؟ قال: يا علي يا عظيم يا حكيم يا عليم، فدعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجتْ من أُذنه ولها طنينٌ حتى صكَّتِ الحائط. انتهى.

تنبيـــه:

قال أبو عمر في باب أبان من «الاستيعاب» (٦٢) استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبانَ بن سعيد بن العاص على البحرين برِّها وبحرها إذ عزل العلاء بن الحضرمي عنها، فلم يزلْ عليها أبان إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا خلاف ما ذكره هنا من بقائِهِ على ولاية البحرين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد تقدمتِ الإشارةُ إلى ذلك عند ذكرنا أبان.

٩ ــ **حنظلة بن الربيع**: في «الاستيعاب» (٣٧٩) حنظلة بن الربيع، ويقال ابن ربيعة، والأكثر: ابن الربيع بن صيْفي الكاتب الأُسيِّديّ التميميّ يُكْنَى أبا رِبْعِيّ من بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، من بطن يقال لهم بنو شُرَيف، وهو أُسَيِّد بكسرِ الياء وتشديدها. قال نافع بن الأسود التميمي يفخر بقومه:

قومي أُسيِّدُ إن سألتِ ومنصبي ولقد علمتِ معادنَ الأحسابِ

وبنو أُسيِّد بن عمرو بن تميم من أشراف بني تميم.

وحنظلة ابن أخي أكثم بن صَيْفي حكيم العرب. وحنظلة أحد الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعرف بالكاتب، شهد القادسية، وهو ممن تخلف عن عليّ في قتال أهل البصرة يومَ الجمل، ولما توفي رحمه الله تعالى ورضي عنه جزعتْ عليه امرأتُهُ، فنهيْنها جاراتُها، وقلن: إن هذا يُحْبِطُ أجْرك، فقالت[1]: [من السريع]

تعجَّبَتْ دعدُ لمحزونةٍ تبكي على ذي شيبةٍ شاحبِ

---

(١) الأبيات في أسد الغابة ٢: ٥٩ والثالث في الإصابة ٢: ٤٤.

إن تسـألِيني اليـومَ مـا شفَّني أُخبـرْك قـولاً ليس بـالكـاذبِ
إنَّ سـوادَ الـعـيـنِ أَودَى بـه حُـزنٌ على حنـظلةَ الكـاتبِ

مات حنظلةُ الكاتبُ في إمارة معاوية بن أَبـي سفيـان، رضي الله تعالى عنهما. انتهى.

فائدة لغوية:

أَكثم بن صيفي ـ بثاء مثلثة ـ قال محمد بن أَبان بن سيِّـد في كتاب «الاشتقاق»: هو مشتقٌّ من الكَثَمَةِ وهو عظم البطن. انتهى.

١٠ ـ عبدالله بن سعد بن أبـي سرح: في «الاستيعاب» (٩١٨) عبدالله بن سعد بن أَبـي سرح بن الحارث بن حَبِيب بن جَذيمة بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامل بن لؤي القرشي ثم العامري، يكنى أَبا يحيى، وحبيب بالتخفيف، قاله ابن الكلبـي. وقال ابن حبيب وأَبو عبيدة: حُبيِّب بالتشديد.

أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان يكتب الوحيَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتدَّ مشركاً، وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إني كنتُ أُصرِّف محمداً كيف أُريد، كان يملي علي «عزيز حكيم» فأَقول: أَو «عليم حكيم»؟ فيقول: نعم كلٌّ صواب. فلما كان يوم الفتح أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، وقتل عبدالله بن خَطَل، ومِقْيَس بن صبابة، ولو وجدوا تحت أَستار الكعبة، وفرَّ عبدالله بن أَبـي سرح إلى عثمان، وكان أَخاه من الرضاعة، أَرضعت أُمه عثمان، فغيَّبَهُ عثمان حتى أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اطمأَنَّ أَهلُ مكة، فاستأْمنه له، فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم طـويلاً ثم قال: نعم. فلما انصرف عثمان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله: ما صمتُّ إلا ليقومَ إليه بعضُكم فيضربَ عنقه، فقال رجل من الأَنصار: فهلا أَومأْت إلـيَّ يا رسول الله؟ فقال: إن النبـيَّ لا ينبغي أَن تكون له خائنة أَعين.

وأَسلم عبدالله بن أَبـي سرح أَيام الفتح فحسن إِسلامه، ولم يظهر عليه شيء

يُنْكَرُ عليه بعد ذلك. وهو أحدُ النجباءِ العقلاء الكرماءِ في قريش، وكان فارس بني عامر بن لؤي المعدود فيهم، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص في افتتاحه مصر وفي حروبه هناك كلِّها.

(٩١٩) وانتقضت الإسكندرية سنة خمس وعشرين فافتتحها عمرو بن العاص فقتل المقاتلةَ وسبى الذرية، فأمر عثمانُ أن يُرَدَّ السَّبْيُ الذين سبوا من القرى إلى مواضعهم للعهد الذي كان لهم، ولم يصحَّ عنده نقضُهم، وعزلَ عمرو بن العاص وولَّى عبدالله بن أَبي سرح، وكان ذلك بدءَ الشرِّ بين عثمانَ وعمرو بن العاص. وافتتح عبدالله بن أَبي سرح إفريقيةَ من مصر سنة سبع وعشرين، وغزا منها الأَساودَ من أَرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وغزا الصواري من أَرض الروم سنة أَربع وثلاثين، ثم قدم على عثمان، واستخلف على مصر السائبَ بن هشام بن عمرو[1] العامري، فانتزى[2] محمد بن أَبي حذيفة بن عتبة فخلع[3] السائب وتأَمر على مصر، ورجع عبدالله بن سعد من وفادته فمنعه ابن أَبي حذيفة من دخولِ الفسطاط، فمضى إلى عَسْقَلان فأقام بها حتى قتل عثمان، وقيل بل أَقام بالرملة حتى مات فارّاً من الفتنةِ، ولم يبايع لعليٍّ ولا لمعاوية، وكانت وفاته قبل اجتماعِ الناس على معاوية.

(٩٢٠) وذكر يزيد بن أبي حبيب وغيره أَنه دعا ربَّه فقال: اللهم اجعلْ خاتمةَ عملي صلاةَ الصبح، فتوضأَ ثم صلى فقرأ في الركعة الأولى: بأُم القرآن والعاديات، وفي الثانية: بأُم القرآن وسورة، ثم سلَّم عن يمينه، وذهب يسلِّم عن يساره فقبض الله روحه. وقيل إنه توفي بإفريقية، والصحيح أَنه توفي بعسقلان سنة سبع وثلاثين، وقيل سنة ست وثلاثين.

---

(١) ط م: عمر.
(٢) ط: فاقتدى.
(٣) م: فخلف.

الباب الثاني
في ذكر كتاب الرسائل والإقطاع
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من كان يكتبها

في «الاستيعاب» (٦٨) عن الواقدي عن أَشياخه قال: أَول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدَمَه المدينةَ، أُبَيُّ بن كعب، وهو أول من كتبَ في آخر الكتاب: «وكتب فلان». وكان أُبَيٌّ إذا لم يحضر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت فكتب، وكان أُبَيٌّ وزيد بن ثابت يكتبان الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ويكتبان كتبه إلى الناس، وما يُقْطِعُ، وغير ذلك.

قال أَبو عمر (٦٩): وكان من المواظبين على كتاب الرسائل: عبدالله بن الأرقم الزهري.

وذكر عن ابن إسحاق أَنه قال (الاستيعاب: ٨٦٥): كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، ويكتب إلى الملوك أَيضاً، وكان إذا غاب عبدالله بن الأَرقم وزيد بن ثابت واحتاج أَن يكتبَ إلى بعض أُمراء الأَجناد والملوك أَو إلى إنسان بقطيعة، أَمَرَ مَنْ حضَرَ أَن يكتبَ له.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «المشارق» (٢: ١٨٣) الإقطاع: تسويغُ الإمام من مالِ الله لمن[1]

---

(١) المشارق: شيئاً لن.

يراه أهلاً لذلك. يقال منه: أقطع بالألف، فأصله من القطع كَأَنَّه قطع[1] له من جملة المال. وقد جاء في حديث بلال بن الحارث: قطع له معادن القَبَلِيَّة.

الثانية: في «المشارق» (٢: ٢٨٥) وذكر المواظبة على الصلاة: هي الملازمة.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وجمل من أخبارهم، رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه**: تقدم ذكره في باب الإمامة في قيام رمضان.

٢ ـ **زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه**: في «الاستيعاب» (٥٣٧): زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن عبدعَوْف بن غَنْم بن مالك بن النجّار الأنصاري النجّاري، يكنى أبا سعيدٍ، وقيل: أبا عبدالرحمن، وقيل: أبا خارجة بابنه خارجة؛ يقال: إنه كان في حين قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ابن إحْدى عشرة سنة.

ومن تاريخ البخاري (٣: ٣٨٠): زيد بن ثابت أبو سعيد، ويقال أبو خارجة الخزرجي النجّاري، قال: أُتي بي النبيّ صلى الله عليه وسلم مَقْدَمَهُ المدينةَ، فَعَجَّب بي، فقيل له: هذا غلام من بني النجار قد قرأ مما أنزل الله عليك بِضْعَ عَشْرَةَ سورة، فاستقرأني فقرأْت.

ومن «الاستيعاب» (٥٣٧) قال الواقدي: استصغر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ بدرٍ جماعةً فردَّهم، منهم زيد بن ثابت، فلم يشهد بدراً.

قال أبو عمر (٥٣٧): ثم شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وقيل: إن أولَ مشاهده الخندق، قيل: وكان ينقلُ الترابَ يومئذٍ مع المسلمين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما إنه نعم الغلام.

(٥٣٩) وكان أحدَ فقهاءِ الصحابة الجِلَّةِ الفُرَّاض. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرضُ أُمتي زَيدُ بن ثابت. (٥٣٨) وحديث أنس: أن زيد بن ثابت أحد

---

(١) م: يقطع؛ المشارق: قطعه.

الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحٌ. انتهى.

ومن الجامع الصحيح» (٢:٢٥٢) لمسلم رحمه الله تعالى عن قتادة قال: سمعت أَنساً يقول: جمعَ القرآن على عهدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أَربعةٌ كلُّهم من الأَنصار: مُعاذُ بن جَبَل، وأُبيُّ بن كعب، وزيدُ بنُ ثابت، وأَبو زيد.

قال قتادة: قلتُ لِأنسٍ: مَنْ أَبو زيد؟ قال: أَحدُ عمومتي.

وفي «الاستيعاب»[1]: وكتب زيدٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لِأبي بكر وعمر، وكان على بيت المال في خلافة عثمان، وكان أَبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قد أَمره بجمع القرآن في المصحف، فكتبه بيده. وذكره أَبو الفرج الجوزي في «مختصر الحلية» (١:٢٩٥) لِأبي نعيم، وخرَّجه البخاريّ (٦:٨٩)[2].

قال أَبو عمر (٥٣٩) رحمه الله: ولما اختلف الناسُ في القرآن زمنَ عثمان، واتفق رأْيه ورأْيُ الصحابةِ أَن يردَّ القرآن إِلى حرفٍ واحد وقع اختيارُهُ على حَرْفِ زيد، فأَمره أَن يُمِلَّ المصحف على قومٍ من قريش جمعهم إِليه، فكتبوه على ما هو عليه اليومَ بأَيدي الناس.

وروى الأَعمش عن ثابت بن عبيد قال: كان زيد بن ثابت من أَفكهِ الناسِ إِذا خلا مع أَهله، وأَزْمَتِهِ إِذا جلس مع القوم.

قال أَبو الفرج الجوزي في «مختصر الحلية» (١:٢٩٦): مات زيد بن ثابت سنة خمس وأَربعين وهو ابن خمس وستين سنة.

قال أَبو عمر (٥٤٠) وقيل سنة اثنتين، وقيل سنة ثلاث وأَربعين وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل ابن أَربع وخمسين سنة، وقيل بل توفي سنة إِحدى أَو اثنتين وخمسين، وقيل سنة خمسين، وقيل: سنة خمس وخمسين. قال أَبو عمر: وصلى عليه مروان.

---

(١) في هذه الفقرة نقل من مواضع متفرقة من الاستيعاب.

(٢) يريد ما جرى من حوار بين أبي بكر وزيد حول جمع القرآن، وهو حديث طويل.

فائدتان لغويتان:

الأولى: الجوهري (٥:١٩٩١): العَمُّ: أخو الأب، والجمع أعمام، وعُمومة مثل البُعُولة، وبيني وبين فلان عُمُومة، كما يقال: أُبُوَّةٌ وخُؤُولَة.

الثانية: الجوهري (٦:٢٢٤٣، ١:٢٥٠): فَكِهَ الرجلُ بالكسر فَكاهةً بالفتح فهو فَكِهٌ: إذا كان طَيِّب النفس مَزّاحاً، والفُكاهَةُ بالضم: المزاح. والزُّمِّيت: الوقورُ، وفلانٌ أَزْمَتُ الناس: أي أَوْقَرُهم.

٣ ـ **عبدالله بن الأرقم**: في «الاستيعاب» (٨٦٥): عبدالله بن الأرقم بن عبديغوث بن وهب بن عبدمناف بن زُهرة بن كلاب القرشي الزهري، أسلم عامَ الفتح، وكتب للنبيّ صلى الله عليه وسلم ثم لِأبي بكر، واستكتبه أيضاً عمر، واستعمله على بيت المال، وعثمان بعده، حتى استعفى عثمانَ من ذلك فأعفاه.

وروى ابن القاسم عن مالك قال: بلغني أنه ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابٌ فقال: من يجيبُ عني؟ فقال عبدالله بن الأرقم: أنا، فأجاب عنه، وأتى به إليه فأعجبه وأنفذه.

وذكر محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكتب عبدَالله بن الأرقم فكان يُجيبُ عنه، وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتبَ إلى بعضِ الملوك، فيكتب، ويأمره أن يطينَهُ ويختِمَهُ وما يقرأُهُ لِأمانته عنده.

(٨٦٦) وروى ابن وهب عن مالك قال: بلغني أن عثمان أجاز عبدالله بن الأرقم، وكان له على بيت المال، بثلاثين ألفاً فأبى أن يقبلَها، قال أبو عمر: هكذا قال مالك. وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار أن عثمان استعمل عبدالله بن الأرقم على بيت المال، فأعطاه عثمان ثلاثمائة درهم فأبى أن يأخذها، وقال: إنما عملتُ لله، وإنما أجري على الله. وروى أشهب عن مالك عن عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول: ما رأيتُ أحداً أخشى لله من عبدالله بن الأرقم. وقال له عمر: لو كان لك مثلُ سابقةِ القوم ما قدَّمْتُ عليكَ أحداً.

الباب الثالث
في كتاب العهود والصلح
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من كان يكتبها

قال أبو عمر بن عبدالبر في «الاستيعاب»: كان الكاتبَ لعهوده صلى الله عليه وسلم إذا عهد، وصلحه إذا صالحَ، عليُّ بن أبي طالب.

وخرَّج البخاري (٥: ١٧٩ ـ ١٨٠) عن البراء: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما أرادَ أن يَعْتَمِرَ أرسل إلى أهلِ مكةَ يستأْذنُهُم ليدخلَ مكة، فاشترطُوا عليه ألا يقيمَ بها إلا ثلاثَ ليالٍ، ولا يدخلَها إلا بجُلْبان السلاح، ولا يدعو منهم أحداً، فأخذ يكتب الشرطَ بينهم عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله تعالى عنه فكتب: هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ الله، فقالوا: لو علمنا أنك رسولُ الله لم نمنعْك ولبايعناك، ولكن اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله، قال: أنا والله محمَّدُ بنُ عبدالله، وأنا والله رسولُ الله، قال: وكان لا يكتب، فقال لعلي: امح رسولَ الله، فقال عليٌّ: والله لا أَمحاهُ[1] أبداً، قال فأَرنيه؟ قال: فأَراه، فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده.

وخرَّج البخاري (٥: ٧٦) أيضاً حديثَ هجرةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم واتباع سراقةَ بنِ مالك بن جُعشُم المُدْلجي النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، ومولاه عامر بن فُهَيرة، ودليلهم الديليّ، ليردَّهُم على قريش للجُعْلِ الذي جعلوا فيهم،

(١) البخاري في هذا الموضع: أمحوك؛ وفي باب الصلح: ٦ والله لا أمحاه.

وفيه أَن سراقة قال: ركبتُ فرسِي فَرفعْتُها تُقَـرِّبُ بي حتى دنوتُ منهم، فعثرت بي فرسي فخرَرتُ عنها، فقمتُ فأَهويتُ بيدي إِلى كنانتي، واستخرجتُ منها الأَزلامَ، فاستقسمتُ بها: أَضرُّهم أَم لا؟ فخرج الذي أَكره: فركبتُ فرسي ــ وعَصِيتُ الأَزلام ــ تُقَرِّبُ بي، حتى إِذا سمعتُ قراءة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت، وأَبو بكر يكثرُ الالتفاتَ، ساختْ يدا فرسي في الأَرض حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتُها فنَهَضَتْ، فلم تَكَدْ تُخْرِجُ يديها، فلما استوتْ قائمةً إِذا لِأَثَرِ يديها غبارٌ ساطعٌ في السماء مثلُ الدخان، فَاسْتَقسَمْتُ بالأَزلام فخرج الذي أَكره، فناديتهم بالأَمان فوقفُوا، فركبتُ فرسي حتى جِئْتُهُم، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أَن سيظهرُ أَمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ له: إِنَّ قومَك قد جعلوا فيك الدِّيةَ، وأَخبرتهم[1] أَخبار ما يريد الناسُ بهمْ، وعرضتُ[2] الزادَ والمتاعَ فلم يرزآني ولم يسأَلاني إِلا أَن قالا: اخْفِ عنا، فسأَلته أَن يكتب لي كتابَ أَمْنٍ، فأَمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أَدَم، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم. انتهى.

وقال محمد بن إِسحاق في «السير» (١: ٤٨٩ ــ ٤٩٠): حدثني الزهريُّ أَن عبدالرحمن بن مالك بن جُعشُم حدثه عن أَبيه عن عمّه سراقةَ حديثَه حين اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال فيه: فعرفتُ حين رأَيتُ ذلك ــ يعني ما ظهر له في فرسه ــ أَنه قد مُنِعَ مني، وأَنه ظاهرٌ، قال: فناديت القومَ: أَنا سراقةُ بن جُعشُم انْظُرُوني أُكلمكم، فوالله لا أَريبُكم، ولا يأْتيكم مني شيءٌ تكرهونه. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لِأَبي بكر: قل لـه ما تبتغي منا؟ فقال لي ذلك أَبو بكر، فقلت: اكتب لي كتاباً يكون بيني وبينك آيةً، قال: اكتب له يا أَبا بكر، قال: فكتب لي كتاباً في عَظْمٍ، أَو في رُقْعةٍ أَو في خَزَفة، ثم أَلقاه إِليَّ فأَخذته، فجعلته في كنانتي ثم رجعت، وهذا خلاف ما رواه البخاري عن الزهري أَيضـاً من أَن عامر بن فهيرة هو الذي كتب الكتاب، فالله أَعلم أَي ذلك كان.

---

(١) م ط: وأخبرته.

(٢) م ط: وعرضت عليهم.

فوائد لغوية في سبع مسائل:

المسألة الأُولى: في «المحكم» (١:٦٢) العهد: التقدم إلى المرء في الشيء، والعهدُ الذي يكتب للولاة، وهو مشتق منه، والجمعُ عهود، وقد عهد إليه عهداً، والعهدُ: الموثِقُ واليمينُ، والجمع كالجمع، وقد عاهده. وفي «الصحاح» (١:٥١٢) العهد: الوصية، وقد عهِدتُ إليه أي أَوصيتهُ، ومنه اشتق العهدُ الذي يكتب للولاة. وفي «الديوان» (٢:٢٣٠) عَهِدَ إليه يَعْهَدُ، بكسر الهاء في الماضي وفتحها في المستقبل.

المسألة الثانية: في «المشارق» (١:١٥٠) جُلُبَّان، بضم الجيم واللام وتشديد الباء؛ كذا في أكثر الأحاديث؛ وكذا ضبطناه، وكذا صوَّبه[1] ابن قتيبة، ورواه بعض الناس: جُلْبان بسكون اللام، وكذا ذكره الهروي، وهو الذي صوَّبه[1]، وكذا قيدناه فيه، وفي كتاب ثابت، ولم يذكر ثابتٌ سواه، وفسر الجلبان في الحديث: القِراب وما فيه. قال الحربي: يريد جفون السيوف، وقال غيره: هو شِبْهُ الجرابِ من الأَدَم، يوضع فيه السيف مغموداً، ويَطرَحُ فيه الراكبُ سوطه ويعلِّقه من آخرة الرحل، وهذا هو القِراب.

المسألة الثالثة: في «المشارق» (٢:١٩٠) قاضاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يريد فاصلهم به من المصالحة. وفي «كتاب العين» قاضاهم: عاوضهم، سميت بذلك لمعاوضة هذه العمرة بالتي في السنة المقبلة، وقال الداودي: أُقاضيك: أُعاهدك وأُعاقدك، والأول أَصحُّ وأَعرف.

المسألة الرابعة: في «الصحاح» (٦:٢٤٨٩) محا لوحه يمحوه محواً، ويمحيه محياً [ويمحاه أَيضاً] فهو مَمْحُوّ ومَمْحِيٌّ، وانمحى انفعل، وامتحى لغةٌ فيه ضعيفة. وفي «المحكم» (٣:٣٤٩)[2] محى الشيء يمحاه محياً، ومحاه يمحوه محواً: أَذهب أثره لِأن هذه الكلمة واويةٌ ويائية. وجاء في «الديوان»(٤:٧٣، ٩١) في باب فَعَل يفعَل

---

(١) ـ (١) سقط من ط.

(٢) لم يرد جميعه في المحكم وإنما ورد بعضه.

بفتح العين في الماضي والمستقبل معاً، وفي باب فَعَلَ يفعُل بفتحها في الماضي وضمِّها في المستقبل. انتهى.

المسألة الخامسة: في «الصحاح» (١:١٩٩) التقريب: ضرب من العَدْو، ويقال: قرَّبَ الفرسُ إذا رفع يديه معاً ووضعهما معاً في العَدْو، وهو دون الحُضْر.

المسألة السادسة: في «المشارق» (١:٢٨٨) قوله في حديث الهجرة: فلم يرزآني معناه النقص، ورزَأْته ورزِئْته: إذا نقصته. انتهى.

وأنشد غيره[1]: [من المنسرح]

إن سُلَيْمى والله يكلَؤها ضنَّتْ بشَيءٍ ما كان يرزؤها

المسألة السابعة: في «المشارق» (١:١٧١) جُعشُم بضم الجيم والشين المعجمة، المدْلِجيّ (١:٤٠٤) بضم الميم وسكون الدال المهملة وكسر اللام. وفي «الصحاح» (٥:١٨٨٩) قال الفرّاء: فتحُ الجيم والشينِ في جَعشَم أَفصحُ.

الفصل الثاني
في ذكر نسبهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ـ **أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه**: يأْتي الكلام في ذلك مستوفًى في باب القاضي، وأذكر هنا من أَخباره ما يختص بحين كتابته لهذا العهد، وهو من معجزاتِ النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو من باب إِخباره بالغيوب:

روى «النسائي» رحمه الله تعالى عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال: إِني كنتُ كاتبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الحديبية، وكتبتُ: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو فقال سُهيل بن عمرو: لو علمنا أَنه رسول الله ما قاتلناه، امحها، فقلت: هو والله رسول الله صلى الله عليه وسلم وإِن رَغِمَ أَنفُكَ، لا والله لا أمحوها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَرني مكانها، فأَريتُهُ فمحاهَا وقال: أَمَا إِنَّ لكَ مثلها ستأتيها وأَنت مُضْطَهَدٌ.

---

(١) مر البيت وتخريجه ص: ١٣٠.

وفي «الكامل في التاريخ» (٣: ٣١٩ ـ ٣٢٠) لابن الأثير في أخبار الحكمين: لما حضر عمرو بن العاص عند عليّ رضي الله تعالى عنه لتكتب القضية بحضوره فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين، فقال عمرو: هو أميركم وأما أميرنا فلا، فقال له الأحنف: لا تمحُ اسمَ أمير المؤمنين، فإني أتخوَّفُ إن مَحَوْتَها ألا ترجعَ إليكَ أبداً، لا تمحها وإن قَتَلَ الناسُ بعضهم بعضاً، فأبى ذلك عليّ رضي الله عنه مليّاً من النهار، ثم إن الأشعث بن قيس قال: امح هذا الاسم فمُحي، فقال علي رضي الله تعالى عنه: الله أكبر سُنَّة بسُنَّة، والله إني لكاتبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وكتبتُ: محمد رسول الله فقالوا: لستَ برسول الله، ولكن اكتب اسمك واسمَ أبيك، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحوه، فقلت: لا أستطيع، فقال: أرنيه فأريته فمحاه بيده، وقال: إنك سَتُدْعَى إلى مثلها فتُجيب.

فائدة لغوية:

مُضْطَهَد: في «الصحاح» (١: ٤٩٨) ضَهدْتُه فهو مَضْهُود، ومُضْطَهَد أي مقهور مضطر.

٢ ـ **عامر بن فهيرة**: في «الاستيعاب» (٧٩٦): عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان من مولَّدي الأزد أسودَ اللون، مملوكاً للطفيل بن عبدالله بن سَخْبَرة، فأسلم وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر من الطفيل فأعتقه، وأسلم قبل أن يدخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دارَ الأرقم، وكان حَسَنَ الإسلام، وكان يرعى الغنمَ في ثور، ثم يروحُ بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر في الغار. وكان رفيقَ أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرتهما إلى المدينة، وشهد بدراً وأُحداً، وَقُتِلَ يوم بئرِ معونة، وهو ابن أربعين سنة؛ قتله عامر بن الطفيل.

(٧٩٧) وذكر ابن إسحاق (٢: ١٨٦) عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما قدم عامر بن الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: من الرجل الذي لما

قُتِلَ رأيته رفع بين السماءِ والأرض حتى رأيتُ السماء دونه، ثم وضع؟ فقال له: هو عامر بن فهيرة. وذكر الزهري عن عروة قال: طُلِبَ عامر بن فهيرة يومئذٍ في القتلى فلم يوجد، قال عروة بن الزبير: فيرون أن الملائكة دفنتْهُ أو رفعته.

وكان بئر معونة سنة أربعٍ من الهجرة.

فـائدة:

في «الاشتقاق» لابن سيِّد: السَّخْبَر: نبتٌ، وسخبرة بن جرثومة أحد آباءِ الطفيل بن عبدالله.

obeikandl.com

الباب الرابع
في ذكر صاحب الخاتم
وفيه فصلان

الفصل الأول
في اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم
ومن أي شيءٍ كان، وما كان نقشه:

خرج البخاري (٧:٢٠٣)[١] رحمه الله تعالى عن أَنس رضي الله تعالى عنه قال: لما أَراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يكتب إلى الروم، فقيل له: إنهم لن يقدُرُوا كتابك إذا لم يكنْ مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، ونقشه: محمد رسول الله، فكأَنما أَنظر إلى بياضه في يده صلى الله عليه وسلم.

وخرج الترمذي في «الشمائل» (٤٦) أَيضاً قال: كان نقشُ خاتم النبي صلى الله عليه وسلم: محمد: سطر، ورسول: سطر، والله: سطر.

قال ابن بطّال[٢]، قال المهلب: كان عليه السلام لا يستغني عن الختم به على الكتب إلى البلدان، وأَجوبة العمال، وقواد السرايا.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في الخاتم أَربع لغات: خاتَم بفتح التاء، وخاتام بأَلف بعدها، وخَيْتام بياء عوض الأَلف، وخاتِم بكسرِ التاء؛ قاله الهروي وابن النحاس والجوهري:

---

(١) قارن أيضاً بالنسائي ٨:١٧٤ والشمائل: ٤٦.

(٢) هو علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال القرطبي، شرح صحيح البخاري في عدة أسفار، وكانت وفاته سنة ٤٤٩ (الصلة: ٣٩٤ وعبر الذهبي ٣:٢١٩).

قال ابن النحاس: إلا أن الرابعة رديئة لِأنها تُشْكِلُ بقولهم: ختمتُ الكتابَ فأَنا خاتِمٌ.

قال الهروي: ومعنى الختم: التغطيةُ على الشيء، والاستيثاقُ منه حتى لا يدخله شيء، ومنه سمي خاتم الكتاب: لصيانة الكتاب، ومنع الناظرين من معرفة ما فيه. وقال ابن النحاس: وجمع خاتم وخاتِم: خواتم، وجمع خاتام: خواتيم، وجمع خَيْتام: خياتيم، ويقال: اسْتَخْتَمَ الكتابُ: بلغ أَن يُخْتَم، وحكي: أَختَم الكتابُ بهذا المعنى، قلتُ: من قبيل قولهم: أَرْكَبَ المُهْرُ: إِذَا حَانَ أَن يُرْكَبَ. انتهى.

قال ابن النحاس: ويقال: أَختمتُ الكُتُبَ أَي وجدتها مختومةً، مثل أَحمدتُ فلاناً أَي وجدته محموداً. ويقال: الكتب في الختم والختام، ولا يقال: في الخاتم، ويقال: أَول من ختم الكتاب سليمان بن داود عليهما السلام.

الثانية: تقدَّم في أَخبار عبدالله بن الأَرقم رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأْمره أَن يكتبَ إِلى بعضِ الملوك فيكتب، ويأْمره أَن يَطِينَه ويختمه، وما يقرأَه لِأمانته عنده. وفي «المحكم» طان الكتابَ طَيْناً، وطيَّنه: خَتَمه بالطين، هذا هو المعروف. وقال يعقوب: سمعت من يقول: أَطنِ الكتابَ أَي اختمه، وَطِينتُهُ: خاتمه الذي يُطَيَّن به.

تنبيه:

قد يقال لما يطبع به الكتاب: طابَعٌ كما يقال له الآن. قال ابن سيده في «المحكم» (١: ٣٤٩): طبعَ الشيء وعليه يطبَعُ طبْعاً: ختم، والطابَعُ: الخاتَمُ الذي يُخْتم به. وأنشد لعديّ بن الرقاع[1]:

كأن قرادي صَـدْره[2] طبعتهما ... بطينٍ من الجولان كتّابُ أعجم

قال: وقرادي الثديين حلمتاهما؛ قلت: وهذا من مليح التشبيه.

---

(١) أورده في اللسان (قرد) مع بيتين آخرين في مدح عمر بن هبيرة وقيل إن الأبيات لمسلمة الجرمي؛ قال وأنشد الأزهري البيت ونسبه لابن ميادة.

(٢) اللسان: زوره.

الفصل الثاني
في ذكر من كان صاحب خاتمه صلى الله عليه وسلم

البخاري في «التاريخ»[1] (٨:٥٢) مُعَيْقِيب، ويقال: مُعَيقب بن أَبي فاطمةَ الدوسيّ، له صحبة.

قال محمد بن بشار: حدثنا سهل بن حماد، حدثنا أَبو مكين نوح بن ربيعة[2]، حدثنا إياس بن الحارث بن معيقيب عن جدِّه معيقيب قال: كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد ملويّ عليه فضة، فربما كان في يدي. وكان المعيقيب على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم. انتهى.

أَبو عمر ابن عبدالبر (١٤٧٨): معيقيب بن أبي فاطمة مولى سعيد بن العاصي؛ هكذا ذكره موسى بن عقبة عن ابن شهاب، قال: ويزعمون أَنه من دَوْس، وقال غيره: هو دوسيّ حليفٌ لآل سعيد بن العاصي. أَسلم معيقيب قديماً بمكة، وهاجر منها إِلى أَرض الحبشة الهجرة الثانية، وأَقام بها حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، قيل: إِنه قدم عليه في السفينتين وهو بخيبر، وقيل قدم عليه قبل ذلك، وكان على خاتَم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم واستعمله أَبو بكر وعمر على بيت المال، وكان قد نزل به داءُ الجذام فعولج منه بأَمر عمر بن الخطاب بالحنظل فتوقف أمره، وتوفي في آخر خلافة عثمان، وقيل: بل توفي سنة أَربعين في خلافة علي رضي الله تعالى عنهم.

---

(١) م: في تاريخه.

(٢) م ط: نوح بن أبي ربيعة وهو كذلك عند الحاكم؛ وهو نوح بن ربيعة الأنصاري مولاهم أبو مكين البصري ــ عند آخرين ــ مات سنة ١٥٣ (تهذيب التهذيب ١٠: ٤٨٤).

الباب الخامس
في الرسول
وفيه ستة فصول

الفصل الأول
في الرسول يُبْعث يدعو إلى الإسلام

ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك:

قال ابن إسحاق في «السير» (٢: ٦٠٧): حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري أنه وجد كتاباً فيه ذِكْرُ من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البُلدان وملوك العرب والعجم، وما قاله لأصحابه حين بعثهم، قال: فبعثتُ[1] به إلى محمد بن شهاب الزُّهري، فعرفه. وفيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم: إن الله بعثني رحمةً وكافةً، فأَدُّوا عني يرحمكم[2] الله، ولا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريّون على عيسى ابن مريم، قالوا: وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال: دعاهم لمثل ما دعوتكم إليه، فأما من قَرَّب به فَأَحَبَّ وسلَّم، وأما من بَعَّدَ به فكره وأبى، فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبحوا وكلُّ رجلٍ منهم يتكلم بلغةِ القوم الذين وُجِّه إليهم.

قال ابن إسحاق (٢: ٦٠٧): فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً من أصحابه، وكَتَب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام: فبعث دِحْيَةَ بن خليفةَ الكلبي إلى قيصر ملك الروم.

---

(١) م ط: فبعث.

(٢) م: رحمكم.

وقال البخاري[1] رحمه الله تعالى في «الصحيح» (٤: ٥٤ ـ ٥٥): إن النبيّ صلى الله عليه وسلم كتب[2] إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث كتابه إليه مع دحية الكلبي، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعه إلى عظيم بُصْرَى ليدفعَهُ إلى قيصر.

وقال «مسلم» (٢: ٥٩): كان دحيةُ الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصرى[3]، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل.

قال ابن إسحاق: وبعث عبدالله بن حذافة السَّهمي إلى كسرى ملك فارس.

قال البخاري (٤: ٥٤)[4] رحمه الله تعالى بعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بكتابه رجلاً، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى.

وقال النسائي: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن حذافة بكتابه إلى كسرى، يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى.

قال ابن إسحاق (٢: ٦٠٧): وبعث عمروَ بن أُميةَ الضَّمْريَّ إلى النجاشيِّ ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أَبي بَلْتعة إلى المُقَوْقِس ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيْفر وعياذ ابني الجُلَنْدى الأَزديين ملكي عُمَان، وبعث سَلِيط بن عمرو أَحد بني عامر بن لؤي إلى ثُمامة بن أُثال وهوذة بن عليّ الحَنَفيين مَلكي اليمامة، وبعث العلاء بنَ الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العَبْدي ملك البحرين، وبعث شجاعَ بن وهب الأَسدي إلى الحارث بن أَبي شِمْر الغَسّاني.

---

(١) قارن أيضاً بالبخاري ٦: ٤٣.

(٢) ط: بعث.

(٣) ط م: ليدفعه إلى قيصر وقال مسلم... عظيم بصرى: سقط من ط م.

(٤) قارن أيضاً بالبخاري ٦: ١٠.

قال ابن جماعة: ملك البلْقاء من أَرض الشام.

قال ابن هشام: إنما توجَّه إلى جَبَلَة بنِ الأَيْهم.

قال ابن جماعة، وقال ابن عبدالبر: توجَّهَ إليهما[1] معاً.

وقال ابن إسحاق (٢: ٦٠٧): وبعث المهاجر بن أَبي أُمية المخزومي إلى الحارث بن عبدِكُلال الحميريِّ ملكِ اليمن. انتهى.

وقال ابن جماعة في «مختصر السير»: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستةَ نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع: عمرو بن أُمية الضمري، ودحيةَ بن خليفة الكلبي، وأَبا حذافة عبدالله بن حذافة السهمي، وحاطب بن أَبي بلتعة اللخمي، وشجاع بن وهب الأَسدي، وسليط بن عمرو العامري.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٤: ١٧٠٩) للجوهري: أَرسلتُ فلاناً في رسالة فهو مُرْسَل ورسول، والجمع رُسْل ورُسُل، والرسول أَيضاً الرسالة. وقال الشاعر[2]: [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ أَبا عمرٍو رسولاً ... بأَني عن فتاحتكم[3] غنيُّ

وقوله عز وجل: ﴿إنا رسولُ ربِّك﴾ (مريم: ١٩) ولم يقل: رسل ربّك لأن فعولاً وفعيلاً يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل عدوّ وصديق.

ذكر أنسابهم وأخبارهم:

١ ــ **عمرو بن أُمية الضمري**: يأْتي ذكره في باب الوكيل من الجزء الرابع.

٢ ــ **دحية بن خليفة الكلبي**: يأْتي ذكره في الباب الذي يتلو هذا، وهو باب حامل الكتاب.

---

(١) م ط: لهما.

(٢) هو الاسعر الجعفي كما في اللسان (فتح) وروايته: ألا من مبلغ عمراً.

(٣) الفتاحة: الحكم بين الخصمين.

٣ ــ **عبدالله بن حذافة**: يأْتي ذكره في الباب الذي يتلو هذا أيضاً، وهو باب حامل الكتاب.

٤ ــ **حاطب بن أبي بلتعة**: في «الاستيعاب» (٣١٢) حاطب بن أَبي بلتعة اللخمي، من ولد لخم بن عديّ في قول بعضهم، يكنى أَبا عبدالله، وقيل: أَبا محمد، واسم أَبي بلتعة: عمرو بن راشد بن معاذ السهمي حليف قريش، ويقال: إنه من مذحج، وقيل: هو حليف للزبير بن العوام، وقيل: بل كان عبداً لعبدالله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أَسد بن عبدالعزى، فكاتبه فأَدَّى كتابته يومَ الفتح، وهو من أَهل اليمن، والأَكثر أَنه حليف لبني أَسد بن عبدالعزَّى شهد بدراً والحديبية. وقد شهد الله لحاطب بن أَبي بلتعة بالإيمان في قوله: ﴿يَأَيُّها الَّذِين آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاء﴾: الآية، وذلك أَن حاطباً كتب إلى أَهل مكة قبل حركةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها عامَ الفتح يخبرهم ببعض ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم من الغزو إليهم، وبعث بكتابه مع امرأة، فنزل جبريلُ بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في طلب المرأة عليَّ بن أَبي طالب وآخر معه، قيل: المقداد بن الأسود، وقيل: الزبير بن العوام فأَدركا المرأَة برَوْضَة خَاخ.

وفي «صحيح مسلم» (٢: ٢٩٢) رحمه الله تعالى عن علي رضي الله تعالى عنه: بعثنا رسول الله أَنا والزبير والمقداد.

قال أَبو عمر (٣١٣) فأَخذا الكتابَ ووَقَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً عليه فاعتذر، وقال: ما فعلته رغبةً عن ديني، فنزلت فيه آياتٌ من صَدْرِ الممتحنة، وأَراد عمر بن الخطاب قَتْلَه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه قد شهد بدراً. .» الحديث، انتهى.

وفي «صحيح مسلم» (٢: ٢٦٢) رحمه الله تعالى أَن حاطباً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تَعْجَل عَلَيَّ يا رسول الله، إِنِّي كنتُ امرءاً مُلْصَقاً في قريش ــ قال سفيان: كان حليفاً لهم، ولم يكنْ من أَنفسها ــ وكان ممن كان معك من

المهاجرين لهم قراباتٌ يَحْمُون بها أَهليهم، فأَحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أَن أَتخذَ فيهم يداً يحمون فيها قرابتي، ولم أَفعله كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضًى بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق، فقال عمر: دعني يا رسولَ الله أَضرب عُنُقَ هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدراً، وما يُدْرِيكَ لعلَّ الله اطَّلعَ على أَهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم.

وفي «الاستيعاب» (٣١٥) عن حاطب بن أَبي بلتعة قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك الإسكندرية فجئتُ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَنزلني في منزله، وأَقمتُ عنده ليالِيَ ثم بعث إليَّ وقد جمع بطارِقَتَهُ فقال: إني سأُكَلّمك بكلامٍ أُحِبُّ أَن تَفْهَمَهُ مني، فقال: قلت: هَلُمَّ، قال: أَخبرني عن صاحبك أَليس نبياً؟ قلت: بلى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فما له حيث كان هكذا لم يَدْعُ على قومه حيث أَخرجوه من بلدته إلى غيرها؟ فقلت له: فعيسى بن مريم أَتشهدُ أَنه رسول الله؟ فما له حيثُ أَخَذه قومُه فأَرادوا صَلْبَهُ أَن لا يكونَ دعا عليهم بأَن يهلكهم الله حتى رفعه الله في السماء[1] الدنيا؟ قال: أَحسنت، أَنت حكيم جاء من عند حكيم، هذه هدايا أَبعثُ بها معك إلى محمد، وأُرسلُ معك من يبلّغك إلى مأْمنك، قال: فأَهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثَ جوارٍ منهن أُمّ إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأُخرى وهبها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أَبي جهم بن حذيفة العدوي، وأُخرى وهبها لحسان بن ثابت الأنصاري، وأرسل إليه بثياب وطرف من طرفهم. ومات حاطب سنة ثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمسٍ وستين سنة، وصلَّى عليه عثمان. انتهى.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «ديوان الأَدب» (٢: ٣٢) أَبو بلتعة مِنْ كُنَى الرجالِ بفتح الباء والتاء وسكون اللام على وزن فَعْلَلَة.

---

(١) م ط: سماء.

الثانية: في «المشارق» (١: ٢٥٠) رَوْضة خاخ بخاءين معجمتين موضعٌ بقرب حمراء الأَسد من المدينة؛ كذا هو الصحيح. انتهى.

٥ ـ **شجاع بن وهب الأسدي**: في «الاستيعاب» (٧٠٧): شجاع بن أَبي وهب، ويقال: ابن وهب بن ربيعة بن أَسد بن صُهَيْب بن مالك بن كبير بن غنم بن ذُودَان بن أَسد بن خزيمة الأَسدي، حليف لبني عبدشمس[1]، يكنى: أَبا وهب، شهد هو وأَخوه عقبةُ بن أَبي وهب بدراً والمشاهد كلها. كان ممن هاجر إلى أَرض الحبشةِ الهجرةَ الثانية، وممن قدم المدينة منها. وشجاع هذا هو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أَبي شِمْر الغساني وإلى جَبَلة بن الأَيهم الغساني. واستشهد شجاع هذا يومَ اليمامة، وهو ابن بضعٍ وأربعين سنة، انتهى.

فائدة:

ذُودَان بذال معجمة مضمومة وأُخرى مهملة بينهما الواو على وزن فُعلان؛ قيَّده الفارابِيّ.

٦ ـ **سليط بن عمرو العامري**: في «الاستيعاب» (٦٤٥): سليط بن عمرو بن عبدشمس بن عبد وُدّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، أَخو سهيل بن عمرو: كان من المهاجرين الأَولين، ممن هاجر الهجرتين؛ ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدراً، ولم يذكره غيره في البدريين. وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذة بن علي الحنفيّ، وإلى ثمامة بن أثال الحنفي، وهما رئيسا اليمامة، وذلك في سنة ست أَو سبع. ذكر الواقدي وابن إسحاق إرسالَهُ إلى هَوْذَة وزاد ابنُ هشامٍ: وإلى ثمامة. وقتل سنة أَربع عشرة. انتهى.

---

(١) ط: لبني شمس.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «المشارق» (١: ٦٢) فيما في أوله همزة مضمومة: ثُمامة بن أُثال بثاء مثلثة في اسمه واسم أبيه.

وفي «ديوان الأدب» (٤: ١٨٩) أُثال بضم الهمزة: اسم جبل، وبه سمي الرجل: أُثالاً.

الثانية: في «ديوان الأدب» (٣: ٣٠٨) الهوذة: القطاة، وبها سُمّي الرجل: هوذة في باب فَعْلة بفتح الفاء وسكون العين وذال معجمة.

٧ ــ **عمرو بن العاص:** في «الاستيعاب» (١١٨٤): عمرو بن العاص بن وائل بن هشام بن سُعَيد ــ بضم السين ــ قاله ابن حزم (١٦٣) ــ ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، يكنى أبا عبدالله، وقيل: يكنى أَبا محمد.

(١١٨٥) والصحيح في إسلامه أَنه كان سنة ثمان في صفر قبل الفتح بستة أَشهر، ذكره الواقدي وغيره.

(١١٨٧) ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عُمَان، فلم يزل عليها حتى قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروى أَبو هريرة وعُمارة بن حزم جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنه قال: ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام.

(١١٨٨) توفي بمصر أميراً عليها من قبل معاوية بن أَبي سفيان يومَ الفطر سنة ثلاث وأَربعين، وقيل سنة ثنتين وأَربعين، وقيل سنة ثمان وأَربعين، وقيل سنة إحدى وخمسين، والأَولُ أَصحُّ وهو سنة ثلاث وأَربعين، ودفن بالمقطم، وصلَّى عليه ابنه عبدالله.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: جَيْفَر بن الجُلندَى الذي أُرسل إليه عمرو بن العاص. في «الاشتقاق» لابن سيِّد: جَيْفَر: فَيْعَل من الشيء المجفر، والجفر: بئر واسعة.

الثانية: الجوهري: جُلندَى بضم الجيم مقصور: اسم ملك عمان.

الثالثة: في «معجم البكري» (١٢٥١) المقطَّم ـ بضمّ أوله وفتح ثانيه وتشديد الطاء المهملة وفتحها ـ جبلٌ بمصر يوارون فيه موتاهم.

٨ ـ **العلاء بن الحضرمي**: تقدم ذكره في باب كتّاب الوحي، فأغنى ذلك عن إعادته الآن.

٩ ـ **المهاجر بن أبي أمية**: في «الاستيعاب» (١٤٥٢): المهاجر بن أَبي أُمية بن المغيرة القرشيّ المخزوميّ، أَخو أُمِّ سلمة زوجِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لأبيها وأُمها. كان اسمه الوليد، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه، وقال لأم سلمة: هو المهاجر، وكانت قالت له: قدم أَخي الوليد مهاجراً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو المهاجر، فعرفت أُم سلمة ما أَراد من تحويل اسمه، فقالت: هو المهاجر يا رسولَ الله، في خبر فيه طول، وفيه غُيِّبَ اسم الوليد. ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرَ بن أَبي أُمية إِلى الحارث بن عبدكُلال الحميريّ ملك اليمن، واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم أَيضاً على صدقات كندة والصَّدف، ثم ولَّاه أَبو بكر اليمن. وهو الذي افتتح حِصْنَ النُّجَيْر بحضرموت مع زياد بن لبيد الأنصاري، وهما بعثا بالأَشعث بن قيس أَسيراً، فمنَّ عليه أَبو بكر وحقنَ دمه.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: عبد كُلال بضمِّ الكاف؛ قاله ابن السيد في «المثلث».

الثانية: الصدف ـ بفتح الصاد والدال ـ وفي «ديوان الأَدب» الصدف: الجبل المرتفع.

الثالثة: النُجَيْر بضم النون وفتح الجيم بعده ياء ساكنة مهملة على لفظ التصغير؛ كذلك قيَّده البكريّ في معجمه (١٢٩٩).

الفصل الثاني
في بعث الرسول في الصلح

ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك:

في السير في عمرة الحديبية قال ابن إسحاق (٢: ٣١٤، ٣١٥): دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خِرَاش بن أُمية الخزاعي، فبعثه إلى قريشٍ بمكة وحَمَله على بعيرٍ له يقال لـه «الثعلب» ليبلغ أَشرافهم ما جاء له فعقروا به جَملَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأَرادوا قتله، فمنعه الأَحابيشُ فخلوا سبيله حتى أَتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا عمرَ بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فيبلغ عنه أَشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله إني أخافُ قريشاً على نفسي، وليس بها من بني عديّ بن كعب أَحدٌ يمنعني، وقد عَرفَتْ قريشٌ عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكني أَدُلُّكَ على رجلٍ أَعزَّ بها مني: عثمان بن عفان، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه إلى أَبـي سفيان وأَشرافِ قريش يخبرهم أَنه لم يأت لحرب، وأَنه إنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمتِه. فخرج عثمان بن عفان إلى مكة فلقيه أَبان بن سعيد بن العاصي حين دخل مكة، أَو قبل أَن يدخلها، فحمله بين يديه ثم أَجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلق عثمان حتى أَتى أَبا سفيان وعظماءَ قريشٍ فبلَّغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أَرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت أَن تطوف بالبيت، فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

فـائـدة:

في «المشـارق» (١: ١٧٦): الأَحابيش هم حلفـاءُ قريش، وهم الهـوْن بن خُزيمة بن مدركة، وبنو الحارث بن عبدمناة بن كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة[١].

---

(١) ط: بن خزامة.

وقال البكري في «معجم ما استعجم» (٤٢٢) سمُّوا بذلك لأنهم تحالفوا على جبل بمكة يقال له: حَبيش ــ بفتح الحاء وكسرِ الباء ــ لا ينقضون ما أَقام حَبيش.

ذكر أنسابهم وأَخبارهم رضي الله تعالى عنهم:

١ ــ **عثمان بن عفان:** هو رضي الله تعالى عنه أَمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أَبـي العاص بن أُمية بن عبدشمس بن عبدمناف بن قصي القرشي الأموي؛ قاله ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٠٣٧) قال: ويكنى أَبا عبدالله وأَبا عمرو، كنيتان مشهورتان له، وأَبو عمرو أَشهرهما، وقد قيل: إنه كان يكنـى أَبا ليلى. ولد في السنة السادسة بعد الفيل، هاجر إلى أَرض الحبشة فاراً بدينه مع زوجته رُقَيَّةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أَولَ خارج إليها، وتابعه سائر المهاجرين إلى أَرضِ الحبشة، ثم هاجر الهجرةَ الثانية إلى المدينة، ولم يشهد بدراً لتخلفه على تمريض زوجته رقيّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت عليلةً فأَمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتخلُّفِ عليها وضَرَبَ له بسهمه وأَجره، فهو معدودٌ في البدريين لذلك. وأَما تخلُّفه عن بيعةِ الرضوان بالحديبية فلأنَّ رسول الله صلى اللهعليه وسلم كان وجَّهَه إلى مكة في أَمر لا يقوم به غيره من صُلْحِ قريشٍ على أَن يتركوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والعمرةَ، فلما أَتاه الخبرُ الكاذبُ بأَنَّ عثمان قد قُتِلَ جمع أصحابه فدعاهم إلى البيعة فبايعوه على قتـال أَهلِ مكة يومئذٍ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بإِحدى يديه الأُخرى، ثم أَتاه الخبر بأَن عثمان لم يقتل، وما كان سبب بيعة الرضوان إلا ما بلغه صلى الله عليه وسلم من قَتْلِ عثمان، فهو أَيضاً معدود في أَهل الحديبية من أَجل ما ذكرنا.

وزوَّجه صلى الله عليه وسلم ابنته رقية ثم أُمّ كلثوم، واحدةً بعد واحدة، وقال: لو كان عندي غيرُهما لزوجتكها.

وارتَجّ أُحُدٌ وعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَبو بكر وعمر وعثمان، فقال له رسول الله صلى الله عيه وسلم: اثبتْ فإِنما عليك نبـيّ وصِدِّيقٌ وشهيدان. وهو أَحد العشرة المشهود لهم بالجنة.

وكانت بئر رُومة رَكِيَّةً ليهوديّ يبيعُ المسلمين ماءَها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يشتري رُومةَ، فيجعلَها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله [بها] شِرْبٌ في الجنة؟ فأتى عثمان اليهوديَّ فساومه فيها، فأبى أن يبيعها كلَّها، فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم، فجعله للمسلمين، وقال له عثمان: إن شئت جعلت على نصيبي قرنين، وإن شئتَ فلي يومٌ ولك يوم، قال: بل لك يومٌ ولي يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى ذلك اليهودي قال: أفسدتَ عليَّ ركيتي، فاشترِ النصفَ الآخر، فاشتراه بثمانية آلاف درهم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن يزيد في مسجدنا؟ فاشترى عثمان مَوْضِعَ خَمْسِ سَوارٍ، فزاده في المسجد.

وجهز جيشَ العسرةِ في غزاةِ تبوك بتسعمائةٍ وخمسين بعيراً، وأتمَّ الألف بخمسين فرساً، وقيل: بل جهزه بألف بعير وسبعين فرساً.

وعن محمد بن سيرين عن امرأة عثمان: كان يُحيي الليلَ بركعةٍ واحدة يجمعُ فيها القرآن.

(١٠٤٤) وبويع له بالخلافة رضي الله تعالى عنه يومَ السبت غُرَّةَ المحرّم سنة أربعٍ وعشرين بعد دَفْنِ عمر بن الخطاب بثلاثة أيام، اجتمع الناس عليه. وقتل بالمدينة رحمه الله تعالى واختلف في اليوم الذي قتل فيه، فقيل يوم الجمعة لثماني ليالٍ خلت من ذي الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة خلت منه، وقيل يوم الجمعة لليلتين بقيتا منه وقيل قتل في وسط أيام التشريق، وقتله رجل من أصبح عداده في مراد اسمه: رومان بن سرحان لعنه الله تعالى ورضي عن أمير المؤمنين عثمان، ضَرَبه بخنجرٍ على صُدْغِهِ الأَيْسَرِ فقتله.

(١٠٤٧) وحدَّث عبدالملك بن الماجشون عن مالك قال: لما قُتِلَ عثمان أُلقيَ على المزبلةِ ثلاثةَ أيام، فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلاً فيهم حويطبُ بن عبدالعزّى وحكيم بن حزام وعبدالله بن الزبير وجَدِّي، فاحتملوه، فلما صاروا إلى

المقبرة ليدفنوه ناداهم قومٌ من بني مازن: والله لئن دفنتموه هنا لنخبرنَّ الناس غداً، فاحتملوه وكان على باب، وإن رأسه ليقول طَقْ طَقْ، حتى صاروا به إلى حُشّ كَوْكَب، فاحتفروا له، وكانت عائشة بنت عثمان معها مصباح في حق، فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت، فقال لها ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنَّ الذي فيه عيناك، قال: فسكتتْ فدفن.

والحُشّ: البستان، وكوكب: رجلٌ من الأنصار، كان عثمان قد اشتراه وزاده في البقيع، فكان أَوَّل من دُفِنَ فيه.

(١٠٤٨) قال مالك: وكان عثمان يمر بحُشّ كوكب فيقول: إنه سيدفنُ ها هنا رجلٌ صالح، وقيل: إنهم لما دفنوه غَيَّبُوا قَبْرَهُ، رحمه الله تعالى.

واختلف في سِنِّهِ حينَ قَتْلِه، فقيل ابن ثمانين سنة، وقيل ابن اثنتين وثمانين، وقيل ابن ست وثمانين، وقيل ابن تسعين. ولحسان بن ثابت يرثيه[1]: [من البسيط]

ضَحَّوْا بأَشمطَ عُنوانُ السجودِ به ... يُقَطِّع اللَّيْلَ تسبيحاً وقُرآنا

(١٠٥١) وللقاسم بن أُمية بن أَبي الصلت: [من الطويل]

لعمري لبئس الذِّبْحُ ضَحَّيْتُمُ بهِ ... وَخُنْتُمْ رسولَ الله في قتلِ صاحِبه

ولأيْمَن بن خُرَيْم[2]: [من البسيط]

ضَحَّوْا بعثمانَ في الشهر الحرام ضحى ... وأَيُّ ذبحٍ حرامٍ ويلهم ذَبَحُوا

(١٠٤٩) ولحسَّان بن ثابت أيضاً[3]: [من البسيط]

إن تُمْسِ دارُ بني عفانَ مُوحِشَةً ... بابٌ صريعٌ وباب مُحْرَقٌ خَرِبُ

فقد يصادفُ باغي الخيرِ حاجَتَهُ ... فيها ويأوي إليها الجودُ والحسبُ

---

(١) البيت في اللسان (عنن، ضحى) والعقد ٣: ٢٨٥ والمعارف: ٦٥، ١٩٣ والديوان ١: ٩٦ (وفيه مزيد من التخريج).

(٢) ط: ولابن خريم (وسقط البيت بعده حتى قوله ولحسان بن ثابت أيضاً).

(٣) الطبري ١: ٣٠٦١ والعقد ٤: ٣٠٢ وأنساب الأشراف ٤/١: ٥٩٩ والديوان ١: ١٢٠.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

الأُولى: في «المشارق» (٢: ٢٨٢) الرَّج والارتجاج: كثرةُ الحركةِ والاضطراب، وفي «الديوان»: رجَّه فارتَجَّ أي حركه فتحرك.

الثانية: في «المشارق» (١: ٣٠٥) رومة: البئر التي اشتراها عثمان ــ رضي الله تعالى عنه ــ وسَبَّلها على المدينة بضمِّ الراء.

الثالثة: في «الصحاح» (٤: ١٥٠١) تَشْرِيقُ اللحم: تقديدُه، ومنه سميت أَيام التشريق وهي ثلاثة أيام من بعد يوم النحر، لأن لحومَ الأَضاحي تُشَرَّق فيها، أَي تُشَرَّرُ في الشمس. انتهى.

تنبيه:

قول الجوهري (٢: ٦٩٥) تُشَرَّرُ في الشمس أَي تيبس وشرَرْتُ الثوبَ وشرَّرته: بسطته للشمس، قاله الجوهري وغيره.

الرابعة: في «الديوان» (٣: ٧، ٢٠) الحَشُّ بفتح الحاء: البستان، ومن ثَمَّ سُمِّي المخرجُ: حَشاً وضمُّ الحاءِ لغةٌ فيه، والمخرجُ بفتح الراء: المتوضأ. انتهى.

وقال البكري (٤٥٠): وحُشُّ كوكب ــ بضم الحاء وتشديد الشين ــ موضع بالمدينة، وهو الذي دفن فيه عثمان، رضي الله تعالى عنه.

٢ ــ **خراش بن أمية الخزاعي**: في «الاستيعاب» (٤٤٥) خراش بن أُمية بن الفضل الكعبي الخزاعي، مدني شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديبية وخيبر وما بعدهما من المشاهد، وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية[1] إلى مكة، فآذتْهُ قريشٌ، وعقرتْ جمله، فحينئذ بعثَ إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانَ بن عفان، وهو الذي حَلَقَ رأْسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الحديبية، وتوفي في آخر خلافة معاوية.

---

(١) وخيبر... الحديبية: سقط من ط.

تنبيــه:

في باب فِعال مكسور الفاء من «ديوان الأدب»: خِراش من أسماء الرجال، وأَبو خراش: كنية.

الفصل الثالث
في بعث الرسول بالأمان

١ ــ ذكر مَنْ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الرجال:

في «السير» (٢: ٤١٧) في خبر فتح مكة، قال ابن إسحاق: خرج صفوانُ بن أُمية، يعني يومَ فَتْحِ مكة، يريد جُدَّة ليركبَ منها إلى اليمن. فقال عُمَيْر بن وهب: يا نبيَّ الله إن صفوانَ بن أُمية سَيِّدُ قومي، وقد خرج هارباً منك ليقذفَ نفسه في البحر فأَمِّنْه ــ صلى الله عليكَ ــ قال: هو آمن، قال: يا رسول الله فأعطني آية ليُعْرَفَ بها أَمانُكَ، فأَعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامَته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عميرٌ حتى أَدركه، وهو يريد أَن يركبَ البحر، فقال: يا صفوان فداك أَبي وأُمي، الله الله في نفسك أَن تهلكها فهذا أَمانٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتُكَ به، قال: ويحك اغربْ عني فلا تكلمني؛ قال: أَي صفوان فداك أَبي وأُمي، أَفضلُ الناسِ وأَبرُّ الناسِ وأَحلمُ الناسِ وخيرُ الناس، وابنُ عمك عزُّه عزُّك وشرفه شرفك وملكه ملكك، قال: إني أَخافُهُ على نفسي، قال: هو أَحلمُ من ذلك وأَكرم، فرجع معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أَمَّنتني؟ قال: صدق، قال: فاجعلني بالخيار فيه شهرين، قال: أَنت بالخيار أَربعة أَشهر.

وقال أَبو عمر ابن عبد البر (٧١٩): كان عمير بن وهب بن خلف قد استأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هرب يومَ الفتح هو وابنه وَهْبُ بن عمير، فأَمَّنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهما، وبعثَ ابنه وهب بن عمير بردائِهِ أَماناً له، فأَدركه وهب بن عمير ببردِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَو بردائه، فانصرف معه، فوقف

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وناداه في جماعة الناس: يا محمد إن هذا وهب بن عمير يزعم أنك أمنتني على أن أسير شهرين، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: انزل أبا وهب، فقال: لا حتى تبيِّنَ لي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: انزل فلك تسيير أربعةِ أشهر.

قال أبو عمر ابن عبدالبر(٧١٩): وشهد صفوان، وهو كافر، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً والطائف.

واستعاره رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج معه إلى حنين سلاحاً، قال: طوعاً أو كرهاً؟ فقال: بل طوعاً عاريةً مضمونة، فأعاره، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغانم يومَ حنين فأكثر. فقال صفوان: أشهد بالله ما طابتْ بهذا إلا نفسُ نبي، فأسلم.

٢ ــ ذكر من توجه في ذلك من النساء:

قال أبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٩٣٢): أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبي جهل، ابن عمها. أسلمت يومَ الفتح، واستأمنت النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها عكرمة، وكان عكرمةُ قد فرَّ إلى اليمن، وخرجتْ في طلبه فردته حتى أسلم، وثبتا على نكاحهما.

وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه حين أتت به: مرحباً بالراكب المهاجر، وقال لأصحابه ــ صلى الله عليه وسلم ــ: إن عكرمة يأتيكم فإذا رأيتموه فلا تسبُّوا أباه، فإن سبَّ الميتِ يؤذي الحيَّ.

فائدتان لغويتان:

الأولى: في «ديوان الأدب» (٢: ١٠٠) غرَب يغرُبُ، واغرب عني: أي تباعد بفتح الراء في الماضي وضمها في المستقبل.

الثانية: في «المشارق» (٢: ٢٣٢) لك تسيير أربعة أشهر: أي أمانها تسيرُ فيها آمناً، كما قال تعالى: ﴿فَسِيحُوا في الأَرْضِ أَربعةَ أَشهر﴾ (التوبة: ٢) قيل: اذهبوا آمنين.

ذكر نسبه:

في «الجماهر» (١٦١) و«الاستيعاب»: هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح.

وفي «الاستيعاب» (١٢٢١) شهد عميرٌ بدراً كافراً، وكان من أَبطال قريش، وشيطاناً من شياطينها، وأُسر ابنه وهب بن عمير يومئذٍ، ثم قدم عميرٌ المدينةَ يريد الفتكَ برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأَخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره، وشهد معه فَتْحَ مكة، وقيل: إن عمير بن وهب أَسلم قبل وقعةِ بدرٍ، وشهد أُحداً مع النبي صلى الله عليه وسلم، وعاش إلى صَدْرٍ من خلافة عثمان.

وفي «الاستيعاب» (١٥٦١) أَيضاً: وهب بن عمير بن وهب بن خلف أُسِرَ يوم بدرٍ كافراً، ثم قدم أَبوه المدينة فأَسلم، فأَطلق له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه وهب بن عمير فأَسلم، وكان له قَدْرٌ وشرفٌ، وهو الذي بسط له رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءَه إذ جاء يطلبُ الأَمانَ لصفوان بن أُمية، ومات بالشام مجاهداً، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

قال أَبو عمر (١٢٢٣) رحمه الله تعالى: وقد قيل إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط أَيضاً لعمير بن وهب رداءه، وقال: الخال والِد. ولا يصحُّ إسناده، وَبَسْطُ الرداءِ لوهب بن عمير أَشهرُ وأَكثر.

قال أَبو عمر (٧٢٠) قال جماعة من أَهل العلم بالأَخبار والأَنساب: إنَّ عمير بن وهب هو الذي جاء صفوان بن أُمية ببُرْدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أماناً لصفوان.

وذكر مالكٌ عن ابن شهاب الذي جاءه برداء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابنُ عمه وهب بن عمير، فالله أعلم.

قال أَبو عمر: وكان إسلامهما معاً أَو متقارباً.

تنبيه:

جاء في هذا الخبر أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمير بن وهب

حين بسط له رداءه: الخال والد، وعمير من بني جمح بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن غالب بـن فهر، ووالدةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من بني زُهْرَة بنِ كلاب بن مرة بـن كعب بن لؤي. وليس في آباء النبي صلى الله عليه وسلم من والدته جُمَحية.

وقال ابن قتيبة في «المعارف» (١٢٩): لا نعلم أنه كان لآمنة أَخٌ فيكونَ خالاً للنبيّ صلى الله عليه وسلم، ولكن بني زهرة يقولون: نحن أَخوال رسـولِ الله صلى الله عليه وسلم لأن آمنة منهم.

الفصل الرابع
في الرسول يُبْعَثُ إلى الملك
لِيَبْعَثَ مَنْ عنده في بلاده من المسلمين

ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك:

قال ابن إسحاق في «السير» (٢: ٣٥٩): كان من أَقام بأَرض الحبشة من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حتى بعثَ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أُمية الضمري، فحملهم في السفينتين، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية ـ ستة عشر رجلاً منهم جعفر بن أَبـي طالب رضي الله تعالى عنه.

تنبيـه:

قد تقدم الوعدُ بمجيء ذكر عمرو بن أُمية الضمري رضي الله تعالى عنه في باب الوكيل في الجزء الرابع من هذا الكتاب، وسيأتي هناك إن شاء الله تعالى.

الفصل الخامس
في الرسول يُبْعَثُ إلى الملك ليزوجَ الإمامَ
المرأَةَ من المسلمين تكون ببلاده ويبعثها

ذكر القاضي عزالدين ابن جماعة رحمه الله تعالى في «مختصر السير» أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أُمية الضمري إلى النجاشي، واسمه

أَصحمة ابن أَبجر، وتفسيرُ أَصحمةَ بالعربية: عطية، وكتب إليه كتابين يدعوه في أَحدهما إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن، فأَخذه النجاشيُّ ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأَرض ثم أَسلم، وشهد شهادةَ الحق وقال: لو كنتُ أَستطيعُ أَن آتيه لآتيته.

وفي الكتاب الآخر أَن يزوّجَه أُمَّ حبيبة، وأَمره أَن يبعثَ بمن قِبَلَهُ من أَصحابه، ويحملهم، ففعل، ودعا بِحُقٍّ من عاج فجعل فيه كتابي النبي صلى الله عليه وسلم وقال: لن تزالَ الحبشةُ بخيرٍ ما كان هذان الكتابان بين أَظهرها. انتهى.

تنبيه:

أُم حبيبة المذكورة في هذا الخبر هي بنت أَبي سفيان بن حرب، وسيأَتي هذا الخبر بأَتمَّ من هذا في باب الوكيل من الجزء الرابع من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

الفصل السادس
في الرسول يُبعثُ بالهدية

قال أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (١١٦٢) في باب عمرو: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُمية الضَّمْرِي رضي الله تعالى عنه إلى أَبي سفيان بن حرب بهديةٍ إلى مكة.

وقال أَبو عبيد القاسم بن سلَّام في كتاب «الأَموال» (٣٢٨): حدثنا يزيدُ عن جرير بن حازمٍ عن يَعْلَى بن حكيم عن عِكرِمَة أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَهدى إلى أَبي سفيان ابن حرب تَمْرَ عجوةٍ ــ وهو بمكة ــ مع عمْرو بن أُمية، وكتب إليه يستهديه أُدْماً فأَهداها إليه أَبو سفيان.

وقال أَبو عُبَيد: هذه الهدية كانت في الهدنة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَهلِ مكةَ قبلَ فتحها. انتهى.

الباب السادس
في حامل الكتاب
وفيه فصلان

الفصل الأول
في أسمائهم

خرج البخاري (٦: ١٠) رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه رجلاً[١] إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه. فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُمزَّقُوا كلَّ ممزق.

وخرج النسائي رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدَالله بنَ حذافة بكتابه إلى كسرى، فدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه.

وخرج البخاري (٦: ٤٣) رحمه الله تعالى عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه مع دِحْية الكلبيّ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفعه إلى عظيم بُصَرى ليدفعه إلى قيصر. . الحديث بكماله.

قال مسلم (٢: ٥٩) رحمه الله تعالى: كان دحية الكلبى جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل.

---

(١) في البخاري: بعث بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن حذافة السهمي فأمره أن يدفعه إلى عظيم. . . الخ.

تنبيــه:

تقدم ذكرُ ابن إسحاقَ في السير، وابنِ جماعة في المختصر بَعْثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عبدَالله بن حُذافة، ودحْيةَ رسولين بكتابيه في جملة الأرسال، لكن ذكر الإمامان: البخاري ومسلم أن دحية دفعَ الكتابَ لعظيم بصرى ودفعه عظيمُ بصرى لقيصر، وذكر البخاري والنسائي: أن عبدالله بن حُذافة دفع الكتاب لعظيم البحرين، ودفعه عظيم البحرين لكسرى. فصحَّ أنهما لم يكونا رسولين وإنما كانا حملا الكتابين لمن دفعهما لمن كُتِبَا له، فلذلك أفردت لحامِل الكتابِ باباً. انتهى.

الفصل الثاني
في ذكر أنسابهم وأخبارهم رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **عبـدالله بن حذافـة:** في «الاستيعاب» (٨٨٨) عبـدالله بن حـذافـة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، يكنى: أبا حذافة. أسلم قديماً، وكان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشـة الهجرة الثانية، ويقـال إنه شهد بدراً، ولم يذكره ابن إسحاق في البدريين.

قال أبو عمر (٨٨٩) رحمه الله تعالى: كان عبدالله بن حذافة رسول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام، فمزَّق كسرى الكتابَ فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: مُزِّق مُلْكُه[1]؛ وقال: إذا مات كسرى فلا كسرى بعده. قال الواقدي: فسلط الله على كسرى ابنه شيرويه، قتله ليلةَ الثلاثاءِ لعشرٍ مضين من جُمادَى سنة سبعٍ.

قال أبو عمر (٨٨٩): وعبدالله بن حذافة هذا هو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: سلوني عما شئتم، من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك حذافة بن قيس؛ فقالت له أُمه: ما سمعت بابنٍ أعقَّ منك، أأَمِنْتَ أن تكون أُمك

---

(١) الاستيعاب: اللهم مزق ملكه.

قارفتْ ما تقارفُ نساء الجاهلية، فتفضحَها على أَعْيُنِ الناس؟ فقال: والله لو أَلحقني بعبدٍ أسود للحقتُ به.

(٨٩١) وعن أَبي هُريرة: أَن عبدالله بن حذافة صلى فجهر بصلاته، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ناج ربَّكَ بقراءتك يا ابنَ حذافة ولا تُسْمِعْني وأَسمع ربك.

قال أَبو عمر رحمه الله تعالى (٨٨٩): وكانت فيه دُعابة؛ حدث ابن وهب عن الليث بن سعد قال: بلغني أَنه حلَّ حزامَ راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أَسفاره، حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع، قال ابن وهب: ليضحكه؟ قال: نعم كانت فيه دعابة. قال الزبير: هكذا قال ابن وهب عن الليث: حلَّ حزامَ راحلةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لابن وهب علم بلسان العرب، وإنما تقول العرب لحزام الراحلة غُرْضَة إذا رُكِب بها على رَحْل، وإن رُكِب بها على الرحلِ أُنثى فهو وضين، فإن ركب بها على جملٍ فهي بطان، فإن ركب بها على فرسٍ فهي حزام.

قال الليث: وكان قد أَسره الروم في زمن عمر بن الخطاب فَأَرادوه على الكفر فعصمه الله تعالى حتى أَنجاه منهم.

قال خليفة بن خياط (١٣٥): أَسروه سنة تِسعَ عشرة.

قال أَبو عمر (٨٩٠): مات في خلافة عثمان، قال ابن لهيعة: توفي بمصر ودفن بمقبرتها.

٢ ــ دحية الكلبي: في «الاستيعاب» (٤٦١) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، من كَلْب بن وَبَرَه في قضاعة. كان من كبار الصحابة، ولم يشهد بدراً، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وبقي إلى خلافة معاوية. وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر في الهدنة، وذلك في سنة ستٍ من الهجرة فآمن به قيصر، وأَبتْ بطارقته أَن تؤمن، فأَخبر بذلك دِحيةُ رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فقال: ثَبَتَ مُلْكُهُ في حديث طويل. وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُشَبِّه دِحية الكلبى بجبريل عليه السلام. انتهى.

وذكره ابن حزم في «الجماهر» (٤٥٨) وقال: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أَتاه جبريل عليه السلام على صورته.

وقال ابن إسحاق (٢: ٢٣٣ ـ ٢٣٤) في غزوة الخندق: ولما أَصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني من الليلة التي ارتحلت فيها الأَحزاب، انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة هو والمسلمون، ووضعوا السلاحَ، فلما كانت الظهر أَتى جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني الزهري مُعْتجراً بعمامةٍ من استبرقٍ على بغلة عليها رِحَالةٌ عليها قطيفةٌ من ديباج، قال: أَوقد وضعتَ السلاحَ يا رسول الله؟ قال: نعم، قال جبريل: فما وضعتِ الملائكةُ السلاحَ بعد، وما رجعتُ الآن إلا من طَلَبِ القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قُرَيْظَةَ، فإني عامد إليهم فمُزَلْزِل بهم، فأَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأَذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينَّ العصرَ إلا ببني قريظة.

(٢٣٤) ومرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أَصحابه بالصَّوْرَيْن قبل أَن يصل إلى بني قريظة فقال: هل مرَّ بكم أَحد؟ قالوا: يا رسول الله قد مرَّ بنا دحيةُ بن خليفةَ الكلبيّ على بغلةٍ بيضاءَ عليها رِحالةٌ عليها قطيفةُ ديباجٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك جبريل بُعِث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعبَ في قلوبهم.

وذكره ابن قتيبة في «المعارف» (٣٢٩): أَسلم قديماً، ولم يشهد بدراً، وكان يُشَبَّهُ بجبريل لجماله وحسنه، وإذا قدم المدينة لم تبق مُعْصِرٌ إلا خرجت تنظر إليه.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

المسأَلة الأُولى: «الفارابي» (٤: ١٧) دَحية الكلبيّ ـ بفتح الدال وكسرها والحاء

ساكنة في اللغتين: الذي كان جبريل عليه السلام في صورته، وكان من أجمل الناس.

المسألة الثانية: في «معجم البكري» (٨٤٦): الصُّوْرَان ـ بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة تثنية صَوْر وهو الجماعة من النخل ـ موضعٌ بين المدينة وبني قريظة، وهناك مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال: هل مر بكم من أحد؟ وساق الحديثَ بنحو ما ذكر ابنُ إسحاق.

المسألة الثالثة: في «ديوان الأدب» (٢: ٢٩٨) أعصرتِ الجارية: إذا أدركت، وأنشد غيره: [من الرجز]

جـاريـةٌ من سَفَـوانَ دارُهَـا قـد أعصـرت أو قـد دَنَـا إعصـارُهَـا

ينحلُّ من غُلمتها إزارها

الباب السابع

في الترجمان

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ضبط لغاته ومعناه وتصريف الفعل منه

أما اللغات فثلاث: الأولى: فَتْحُ التاءِ والجيم معاً، والثانية: ضمهما معاً، والثالثة: فتح التاءِ وضمُّ الجيم.

قال الجوهري (٥: ١٩٢٨) هو التَّرجمان، والجمع، : تراجم، كزعفران وزعافر، وصَحصان وصحاصح. ويقال: تَرجُمان، ولك أَن تضم التاءَ لضمةِ الجيم فتقول: تُرجُمان على يَسْرُوع ويُسرُوع؛ انتهى.

وفي المشارق» (١: ١٢٠): التَرجُمان ــ بفتح التَّاء وضم الجيم، وضبطها الأَصيلي بضمهما، وحكي عن أَبي علي فيه الوجهان، واستحبّ الضم. وقال ابن عسكر في «المشرع الرويّ»[١]: الضمُّ يدل على أَن التاءَ أَصلٌ لأنه يكون على وزن فُعلُلان كعُتْرُفان[٢] ولم يأْتِ فُعْلُلَان. انتهى.

قلت: وقد خالف وضع الجوهري لهذه اللفظة في باب الراء والجيم والميم تمثيله له بزعفران، فإن وضع البابِ يدلُّ على زيادة التاء، وتمثيلُه يدلُّ على

---

(١) محمد بن علي بن خضر بن هارون الغساني أبو عبدالله ابن عسكر المالقي، ولي قضاء بلده مرتين وكان فقيهاً حافظاً للغة أديباً بليغاً ومن كتبه سوى المشرع الروي كتاب نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر، وكانت وفاته سنة ٦٣٦ (التكملة: ٦٤٢).

(٢) م: كعقربان (وسقط من ط).

أَصالتها. وأَما القاضي عياض رحمه الله تعالى فقد وضعها في باب التاء، وذلك يدلُّ على أَنها عنده أَصلية.

وأَنشد يعقوب بن السكيت رحمه الله في «إصلاح المنطق» (٩٦) له[١] [من الرجز]

ومنْهَلٍ وردتُهُ التِقاطا لم أَلْقَ إِذْ وردتُهُ فُرَّاطا
إِلا الحمامَ الوُرْقَ والقَطَاطا فهُنَّ يُلْغِطْنَ به إِلْغاطا
كالترجمان لقيَ الأَنباطا

الفصل الثاني
في ذكر من كان يترجم للنبيّ صلى الله عليه وسلم

١ ــ **ذكر من كان يترجم له باللسان:** في «العمدة» للتلمساني: زيد بن ثابت الأَنصاري النجّاري رضي الله تعالى عنه كان يكتبُ للملوك ويجيب بحضرة النبيّ صلى الله عليه وسلم وكان ترجمانه بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية، تعلَّمَ ذلك بالمدينة من أَهل هذه الأَلسن. وذكر ابن هشام في «البهجة» نحواً منه.

٢ ــ **ذكر من كان يترجم له بالكتاب:**

1 ــ **كتاب السريانية:** في «الاستيعاب» (٥٣٨): كانت ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتُبٌ بالسريانية، فأَمر زيدَ بن ثابت فتعلَّمها في بضعة عَشَر يوماً.

وفي «مختصر الطحاويّ» رحمه الله عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال، قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَتُحْسِنُ السريانيةَ؟ إِنه تأْتيني كتب قال، قلت: لا، قال: فتعلَّمها، قال: فتعلمتها في سبعة عشر[٢] يوماً.

---

(١) الراجز هو نقادة الأسدي كما في إصلاح المنطق.
(٢) ط: في تسعة عشر.

وفي «الأحكام الصغرى»: ذكر أبو بكر ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى في مسنده عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه تأْتيني كتبٌ من أُناسٍ لا أُحِبُّ أَن يقرأَها كلُّ أَحدٍ، فهل تستطيعُ أَن تَعَلَّم كتاب السريانية؟ قال: قلت: نعم، فتعلمتها في سبعة عشر[1].

فائدة لغوية:

في «المشارق» (٢: ٢١٤): السُّرْيانِيَّة ـ بسكون الراء وتشديد الياء الأخيرة[2] ـ هي اللغة الأُولى التي تكلَّم بها آدمُ والأَنبياءُ عليهم السلام، أَكثر الشيوخ يقولونه بتشديدِ الراء، ومتقنوهم يقولونه: بسكونها، وكذلك[3] قيده الأصيلي.

2 ـ **كتاب اليهود:** في «الصحيح» (٩: ٩٤) للبخاري رحمه الله تعالى في الشواهد، وفي التاريخ له (٣: ٣٨١) والنص من التاريخ، عن زيد بن ثابت أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: تعلَّم كتابَ يهود، فإِني ما آمنُ يهود على كتابي، فتعلمتُ في نصف شهر حتى كتبتُ إلى يهود، وأَقْرَأُ له إِذا كتبوا إليه.

وفي «مختصر الطحاوي» رحمه الله تعالى عن زيد بن ثابت أيضاً رضي الله تعالى عنه أَنه قال: أَمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن أَتعلم كتابَ يهود، فما مرَّ بي نصفُ شهر حتى تعلمتُ، وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: والله ما آمنُ يهود على كتابي. فلما تعلمتُ كنتُ أَكتبُ إلى يهود إِذا كَتَبَ إِليهم، وإِذا كتبوا إِليه قرأْتُ له كتابهم.

وخرج الترمذي (٤: ١٦٧) رحمه الله تعالى عن زيد بن ثابت أَيضاً رضي الله تعالى عنه قال: أَمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن أَتعلَّم كتابَ[4] يهود، وقال: إِني والله ما آمن يهود على كتابي. قال فما مر بي نصفُ شهر حتى تعلمته

---

(١) زاد في ط: يوماً.
(٢) مشارق: الآخرة.
(٣) مشارق: وكذا.
(٤) الترمذي: كلمات من كتاب.

له، قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم.

قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

تنبيــه:

قد تقدم من نسب زيد بن ثابت وأخباره رضي الله تعالى عنه مَا أغنى عن إعادته هنا والحمد لله.

الفصل الثالث

في معنى نهي عمر رضي الله تعالى عنه عن رطانةِ الأعاجم وكراهة مالك رحمه الله تعالى تعلُّم خطهم، وأن ذلك غيرُ مخالفٍ للحديثِ الثابتِ بالأمر بتعلُّم ذلك

في «البيان والتحصيل» قال مالك رحمه الله تعالى: أكره للرجلِ المسلم أن يطرحَ ابنه في كتّابِ العجم، أن يتعلم الوقف: كتابَ العجمية، وأكرهُ للمسلم أن يعلِّم أحدا من النصارى الخطَّ أو غيره.

وفي «التهذيب» للبرادعيّ: ونهى عمر عن رطانةِ الأعاجم وقال إنها خِبٌّ.

وفي «الصحاح» (٥: ٢١٢٤) للجوهري: الرطانة: الكلامُ بالأعجمية، تقول: رَطَنتُ له رطانة، وراطَنْتُه: إذا كلمتهُ بها، وتراطنَ القومُ فيما بينهم.

(١: ١١٧) والخِبُّ: الخداع: تقول منه: خَبِبْتَ يا رجلُ تَخَبُّ خِبّاً مثل عَلِمْتَ تعلَمُ عِلْماً، والخِبُّ والخَبُّ: الرجلُ الخَدَّاع.

وقال ابن رشد في «البيان والتحصيل» في الكلام على قول مالك، رحمه الله تعالى: الكراهةُ في ذلك كله بينة، أما تعليم الرجلِ ابنه كتابَ العجم فللاشتغالِ بما لا منفعة فيه ولا فائدةَ له عما له فائدةٌ ومنفعة، مع ما فيه من إدخالِ السرور عليهم بإظهار المنفعة بكتابهم والرغبةِ في تعلمه، وذلك مِنْ توليهم وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١).

وأَما تعليم المسلم النصرانيَّ فلما فيه من الذريعة إِلى قراءتهم القرآن مع ما هم عليه من التكذيب له والكفر به، وقد قال ابن حبيب في «الواضحة»: إِن ذلك ممن فعله مُسْقِطٌ لأمانته وشهادته. انتهى ما ذكره ابن رشد رحمه الله.

قلت: وقد تبين من كلامه أَن الذي يُكْرَهُ من تعلّم خطهم وكتابهم هو ما لا يكون في تعلمه منفعة، وأَما ما في تعلمه منفعةٌ للمسلمين كتعلمه لترجمةِ ما يَحتاجُ إليه الإمامُ كما تعلمه زيد رضي الله تعالى عنه بأَمر النبي صلى الله عليه وسلم، أَو لما يحتاج إِليه القاضي للفصل بين الخصوم، وإِثبات الحقوق، أَو للعاشِر الذي يُعَشِّر أَهلَ الذمة وتجارَ الحربيين لطلبِ ما يتعيَّنُ عندهم لبيتِ المال، أَو لما يحتاجُ إليه في فكاكِ الأَسارى وما أَشبه ذلك مما تدعو إِليه الضرورة، فغيرُ مكروهٍ.

الباب الثامن

في الشاعر
وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول

في ذكر شعراءِ النبـيّ صلى الله عليه وسلم

من «الاستيعاب» (١٣٢٤ ـ ١٣٢٥) قال محمد بن سيرين: كان شعراء المسلمين حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك. وأَما شعراء المشركين: فعمرو بن العاص، وعبدالله بن الزبعرى، وأَبو سفيان بن الحارث.

قال أَبو عمر (٣٤٢): قيل لعلـيّ بن أَبـي طالب رضي الله تعالى عنه: اهج عنا القومَ الذين يهجوننا، فقال: إن أَذِنَ لي النبـيّ صلى الله عليه وسلم فعلتُ، فقالوا: يا رسولَ الله ايذن له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن علياً ليس عنده ما يراد في ذلك منه، أَوليس ذلك هنالك. ثم قال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أَن ينصروه بأَلسنتهم؟

قال ابن سيرين (٣٤٤): وانْتُدِبَ لهجو المشركين ثلاثةٌ من الأَنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة، فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع والأَيام والمآثر، ويذكران مثالبهم، وكان عبدالله بن رواحة يعيِّرهم بالكفر وعبادةِ ما لا يسمعُ ولا ينفع، فكان قوله يومئذٍ أَهونَ القولِ عليهم، وكان قولُ حسان وكعب أَشدَّ القول عليهم، فلما أَسلموا وفقهوا كان أَشدَّ القول عليهم قولُ عبدِالله بن رواحة.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر رحمه الله تعالى (٨٩٨): وفيه وفي صاحبيه حسان وكعب بن مالك نزل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وذَكَرُوا الله كَثِيراً

وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

وخرج مسلم (٢: ٢٦٠) رحمه الله تعالى عن عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى ابنِ رواحة فقال: اهجُهُم، فهجَاهُم فلم يُرْضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن تُرْسِلوا إلى هذا الأسد الضاربِ بذنبه، ثم أَدْلَعَ لسانه فجعل يُحَرِّكُهُ، فقال: والذي بعثك بالحقِّ لأفرينهم بلساني فَرْيَ الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تعجلْ فإن أبا بكر أعلمُ قريشٍ بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يلخص لك نسبي؛ فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسولَ الله قد لخَّص لي نسبك، والذي بعثك بالحقِّ لأسُلنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين. قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان: إن روح القُدُس لا يزالُ يؤيدك ما نافحتَ عن الله ورسوله. وقالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هجاهم حسان فشفى وأشفى؛ قال حسان[1]: [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ... وعند اللَّه في ذاك الجزاءُ
هجوتَ محمداً براً حنيفاً ... رسولَ اللَّهِ شيمتُهُ الوفاء
فإن أبي ووالدَهُ وعِرضي ... لِعرضِ محمد منكم وِقاء
ثكِلْتُ بنيتي إن لم تَرَوْها ... تثيرُ النقعَ غايتها كَداء[2]
يبارين الأعنةَ مُصْعِداتٍ ... على أكتافها الأَسَلُ الظِّماء
تظلُّ جيادُنا متمطّراتٍ ... تُلَطِّمُهُن بالخُمُر النساء
فإن أعرضتمُ عنّا اعتمرنا ... وكان الفتحُ وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضِرابِ يومٍ ... يُعِزُّ اللَّه فيه من يشاء
وقال اللَّه: قد أرسلتُ عبداً ... يقولُ الحقَّ ليس به خفاءُ

(١) ديوان حسان: ١٨، ١٧.
(٢) صحيح مسلم: من كنفي كداءِ.

وقال اللّه: قد يَسَّرْتُ جنداً هم الأنصار عُرْضَتها اللقاءُ
لنا في كلّ يومٍ من معدٍّ سبابٌ أو قتال أو هجاءُ
أمن يهجو رسول اللّه منكم ويمدحُهُ وينصره سواءُ
وجبريلٌ رسولُ اللّه فينا وروحُ القدس ليس له كفاءُ

قلت: هكذا ثبت في «صحيح مسلم» رحمه الله تعالى: ثكلت بنيتي، وغايتها كداء، ويبارين الأَعنَّةَ مصعداتٍ.

ورواه ابن إسحاق في «السير»[1]: عدمنا خيلنا، وموعدها كداء، وينازعن الأَعنَّة مصعدات، وهو أشعر.

وزاد ابنُ إسحاق في هذه القصيدة في «السير»:

أَتهجوه ولستَ له بكفءٍ فشرُّكما لخيركما الفداءُ

وقال الحاتمي في «حلية المحاضرة» (١: ٣٣٠): أَنشد حسان النبيَّ صلى الله عليه وسلم:

* عفت ذاتُ الأَصابعِ فالجِواءُ *

فلما انتهى إلى قوله:

هجوتَ محمداً فأَجبتُ عنه وعند اللّهِ في ذاك الجزاءُ

قال له النبي صلى الله عليه وسلم: جزاؤك على الله جل اسمه الجنةُ يا حسان؛ فلما انتهى إلى قوله:

فإن أَبي ووالدَهُ وَعِرْضي لعرضِ محمدٍ منكم وِقاء

قال له النبي صلى الله عليه وسلم: وقاك الله حر النار.

فلما انتهى إلى قوله:

أَتهجوه ولستَ له بكفءٍ فشرُّكما لخيركما الفِداء

قال من حضر: هذا أنصفُ بيتٍ قالته العرب.

---

(١) قصيدة حسان في السيرة ٢: ٤٢١ ـ ٤٢٤.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الديوان» (٤: ١٥١، ٣: ٣٠) الكفء بضم الفاء وسكونها، والنِّد بكسرِ النون لا غير، وكلها بمعنى المثل، يقال: لا نِدَّ له أَي لا مثل له.

الثانية: الجوهري (٦: ٢٤٥٣): الفِداء إِذا كُسر أَوله يمدُّ ويقصر، وإِذا فُتِحَ فهو مقصور، قال ابن القوطية: والمدُّ أَفصح إِذا كسر. وروى البخاري (٨: ٤٥) عن البراء قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان: اهجهم، أَو قال هاجهم وجبريل معك.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الصحاح» (٢: ٦٩٩) شَعرتُ بالشيء بالفتح أَشعرُ شِعراً أَي فطنت له، ومنه قولهم: ليتَ شِعري، أَي ليتني علمتُ. والشعر واحد الأَشعار، والشاعرُ جمعه الشعراء على غير قياس. وقال الأخفش: الشاعرُ مثل لابن وتامر أَي صاحبُ شعر، وسمي شاعراً لفطنته وما كان شاعراً. ولقد شعُر بالضم فهو يشعُر، والمُتَشَاعر: الذي يتعاطى الشعر، وشاعرتُه فشعرتُه أَشْعَرُه بالفتح أَي غلبتُه بالشعر.

الثانية: في «معجم البكري» (١١١٧): كَداء ــ بفتح أَوله ممدود لا يصرف لأنه مؤنث ــ جبلٌ بمكة، وكذا هذا الجبل هو عرفة بعينها؛ قال حسان يوعد قريشاً:

عدمنا خيلنا إِن لم تروها تثيرُ النقْعَ موعِدُهَا كَدَاء

الفصل الثاني
في ذكر أَنسابهم وأَخبارهم، رضي الله تعالى عنهم

١ ــ **حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه:** في «الاستيعاب (٣٤١): حسان بن ثابت بن المُنذرِ بن حرام بن عمرو بن زيدمناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجار الأَنصاري الشاعر. يكنى أَبا الوليد، وقيل أَبا عبدالرحمن، وقيل أَبا الحسام، وأُمه الفريعة بنت خالد الأَنصارية. كان يقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروينا عن عائشة رضي الله تعالى عنها أَنها وصفت رسول الله

صلى الله عليه وسلم: كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت[1]: [من الطويل]

متى يبدُ في الداجي البهيمِ جبينُهُ ... يَلُحْ مثلَ مصباح الدجى المتوقدِ
فَمَنْ كان أَو مَنْ قد يكونُ كأَحمدٍ ... نظامٌ لحقٍّ أَو نكالٌ لملحد

قال أَبو عمر (٣٤٢) رحمه الله تعالى: وقال حسان حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يمنعُ القومَ الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أَن ينصروه بأَلسنتهم؟ فقال حسان: أَنا لها، وأَخذ بطرفِ لسانه وقال: والله ما يسرُّني به مِقولٌ بين بصرى وصنعاء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تهجوهم وأَنا منهم؟ وكيف تهجو أَبا سفيان وهو ابنُ عمّي؟ فقال: والله لأسلنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين، فقال: إِيتِ أَبا بكر فإِنه أَعلمُ بأَنسابِ القوم منك، فكان يمضي إِلى أَبي بكر لِيَقِفَهُ على أَنسابهم، فكان يقول له: كفَّ عن فلان وفلانة واذكر فلانةَ وفلانة، فجعل حسان يهجوهم، فلما سمعتْ قريشٌ شعر حسان قالوا: إِن هذا الشعر ما غاب عنه ابنُ أَبي قحافة، أَو من شعر ابنِ أَبي قحافة. فمن شعر حسان في أَبي سفيان بن الحارث[2]: [من الطويل]

إِن سنام المجد من آل هاشم ... بنو بنت مخزومٍ ووالدُكَ العبدُ
ومن ولدت أَبناءُ زهرةَ منهم ... كرامٌ ولم يقربْ عجائزَكَ المجد
ولستَ كعباسٍ ولا كابنِ أُمه ... ولكن لئيمٌ ليس يوري له زند
وإِن امرءاً كانت سميةُ أُمَّهُ ... وسمراءُ مغمورٌ إِذا بُلِغَ الجَهْدُ
وأَنت هجينٌ نيط في آلِ هاشمٍ ... كما نيطَ خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفردُ

فلما بلغ هذا أَبا سفيان قال: هذا كلامٌ لم يغبْ عنه ابنُ أَبي قحافة.

وروى مسلم(٢: ٢٦٠) عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت، قال حسان: يا رسولَ الله إِيذَنْ لي في أَبي سفيان، قال: كيف بقرابتي منه؟ قال: والذي أَكرمك لأسلنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين، فقال حسان:

---

(١) الشعر أيضاً في أسد الغابة ٢: ٤ والديوان ١: ٤٦٥.

(٢) ديوانه: ١: ٣٩٨.

وإن سنامَ المجدِ من آلِ هاشمٍ بنو بنتِ مخزومٍ ووالدك العبد

قصيدته هذه.

قال أَبو عمر (٣٤٣): يعني بقوله «بنت مخزوم» فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فيما ذكر أَهل النسب، وهي أُمّ أَبي طالب وعبدالله والزبير بني عبدالمطلب وقوله «ومن ولدت أَبناء زهرة منهم» يعني حمزة وصفيّة: أُمهما هالة بنت أُهيب بن عبدمناف بن زهرة؛ والعباس وابن أُمه شَقِيقةُ ضرار بن عبدالمطلب، أُمهما نثيلة امرأة من النمر بن قاسط. وسمية أُم أَبي سفيان، وسمراء أُم أبيه.

قال (٣٤٩): ومن جيد شعر حسان ما ارتجله بين يدي النبيّ صلى الله عليه وسلم في حين قدوم بني تميم إذ أَتوه بخطيبهم وشاعرهم ونادَوْه من وراء الحجرات: أَن اخرج إلينا يا محمد فأَنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (الحجرات: ٤ـ٥) وكانت حجراته صلى الله عيه وسلم تسعاً كلها شعر معلقة من خشب العَرْعَر. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وخطب خطيبهم مفتخراً، فلما سكت أَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتَ بن قيس بن شماس أَن يخطب بمعنى ما خطب به خطيبهم، فخطب ثابت بن قيس فأَحسن، ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال[1]: [من البسيط]

نحن الملوكُ فلا حيٌّ يقاربنا فينا العلاءُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ
ونحن نطعم عند القحطِ مطعمنا من الشواءِ إذا لم يُؤْنَسِ القَزَعُ
وتنحر الكُومُ عُبْطًا في أَرُومتها للنازلين إذا ما أُنزلوا شبعوا
تلك المكارم حزناها مقارعةً إذا الكرامُ على أَمثالها اقترعوا

(٣٥٠) ثم جلس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان: قم، فقام وقال[2]:

(١) السيرة ٢: ٥٦٣.

(٢) السيرة ٢: ٥٦٤ وديوان حسان ١: ١٠٢.

إنَّ الذوائب من فهرٍ وإخوتهم ... قد بَيَّنوا سُنَّةً للناسِ تتبعُ
يرضى بها كلُّ من كانت سريرتُهُ ... تقوى الإله وبالأمرِ الذي شرعُوا
قومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عدوَّهُمُ ... أو حاولوا النفعَ في أشياعهم نفعوا
سجيةٌ تلك فيهم غيرُ مُحْدَثَةٍ ... إن الخلائقَ ـ فاعلم ـ شَرُّها البدَعُ
إن كان في الناسِ سبَّاقونَ بعدهمُ ... فكلُّ سَبْقٍ لأدنى سبقهم تَبَعُ
لا يرقعُ الناسُ ما أَوْهتْ أكُفُّهُمُ ... عند الدفاعِ ولا يُوهُون ما رَقَعُوا
ولا يضنّون عن جارٍ بفضلهمُ ... ولا يمسهمُ في مطمعٍ طَبَعُ
أعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوحي عِفَّتُهُمْ ... لا يبخلون ولا يُرْديهمُ طَمَعُ
خُذْ منهمُ ما أَتَوْا عفواً إذا غَضبوا ... ولا يكنْ هَمُّك الأمرَ الذي مَنَعُوا
فإن في حربهم ـ فاتركْ عداوتهم ـ ... شرّاً يُخاضُ إليه الصَّابُ والسَّلَعُ
أَكْرِمْ بقومٍ رسولُ اللَّهِ شيعتُهم ... إذا تفرقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ

فقال التميميون عند ذلك: وربكم إن خطيبَ القوم أخطبُ من خطيبنا، وإن شاعرهم أشعرُ من شاعرنا، وما أنصفنا وما قاربنا.

قال ابن إسحاق في «السير» (٢: ٥٦٧) فلما فرغ القومُ أسلموا وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم.

قال أبو عمر (٣٥١): وتوفي حسان بن ثابت رحمه الله تعالى قبل الأربعين في خلافة علي رضي الله تعالى عنه، وقيل بل مات سنة خمسين، وقيل بل سنة أربع وخمسين، ولم يختلفوا أنه عاش مائةً وعشرين سنة، منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام.

فائدتان لغويتان:

الأولى: قوله: كما نِيطَ خَلْفَ الراكب القَدَحُ الفردُ: في «الغريبين» في الحديث لا تَجْعَلُوني كَقَدح الراكب أراد لا تُؤَخِّرُوني في الذِّكر، والراكبُ يُعَلِّقُ قَدَحَهُ في آخِرَةِ رحله عند فراغه ويجعله خلفه. قال حسان: كما نيط خَلْفَ الراكب القَدَحُ الفَرْدُ.

الثانية: في «الصحاح» (٣:١٢٥٣) الطَّبَعُ بالتحريك: الدَّنَسُ، تقول فيه: طَبِعَ الرجُلُ بالكسر.

٢ ــ **عبدالله بن رواحة رضي الله تعالى عنه**: من «الاستيعاب» (٨٩٨): عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أحد النقباء، شهد العقبةَ وبدراً وأُحداً والحديبيةَ وعُمْرَةَ القضاء، والمشاهدَ كلَّها إلا الفتح وما بعدها لأنه قُتِلَ يومَ مؤته شهيداً، وهو أحدُ الأُمراء في غزاة مؤتة، وأحدُ الشعراءِ المحسنين الذين كانوا يردّون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري (٨:٤٤) رحمه الله تعالى عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه في قصصه يذكرُ النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: إن أخاكم لا يقولُ الرَّفَثَ، يعني بذلك ابنَ رواحة؛ قال[1]: [من الطويل]

وفينا رسولُ اللّه يتلو كتابَهُ ... إذا انشقَّ معروفٌ من الفجرِ ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبُنَا ... به مُوقِنَاتٌ أنَّ ما قال واقع
يبيتُ يجافي جَنْبَهُ عن فراشه ... إذا استثْقلتْ بالكافرين المضاجع

قال أبو عمر (٩٠٠): روى هشام بن عروة عن أبيه قال سمعتُ أبي يقول: ما سمعتُ أحداً أجرى ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له يوماً: قل شعراً تقتضيه الساعة فأنا أنظر إليك، فانبعث مكانَهُ يقول[2]: [من البسيط]

إنني تفَرَّستُ فيكَ الخيرَ أعْرِفُهُ ... واللّه يعلمُ أنْ ما خانني البصرُ

---

(١) الشعر أيضاً في جمع الجواهر: ٣٨ ومسند أحمد ٣:٤٥١ والبداية والنهاية ٤:٢٥٨ وتهذيب ابن عساكر ٧:٣٩٢ والديوان (قصاب): ١٦٢ وفيه مزيد من التخريج.

(٢) الأبيات في السيرة ٢:٣٧٤ وطبقات ابن سعد ٣:٥٢٨ وتهذيب ابن عساكر ٧:٣٩٠ والديوان (قصاب) ١٥٩ وأورد تخريجاً كثيراً.

أَنت النبيُّ ومن يُحْرَمْ شفاعَتَهُ يومَ الحسابِ فقد أَودى به القدر
فثبَّتَ اللَّـه ما آتاك من حَسَنٍ تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نصروا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأَنت فثبتك الله يا ابن رواحة.

وعن أَبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: لقد رأَيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أَسفاره في اليوم الحارّ الشديد الحرّ، حتى أَن الرجل ليضعُ يدَهُ من شدَّة الحرِّ على رأسه، وما في القوم صائمٌ إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن رواحة.

وفي «السير» (٢: ٣٥٤) قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أَبي بكر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثُ عبدَالله بن رواحة إلى أَهلِ خيبر خارِصاً بين المسلمين ويهود فيخرُصُ عليهم، فإذا قالوا: تعدَّيْتَ علينا، قال: إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا، فتقول يهود: بهذا قامتِ السماواتُ والأَرض.

قال ابن إسحاق (٢: ٣٥٤): وإنما خَرَصَ عليهم عبدالله بن رواحة عاماً واحداً ثم أُصيبَ بمؤتة يرحمه الله، فكان جَبَّارُ بن صخر بن أُمية بن خنساء أَخو بني سلمة هو الذي يخرُصُ عليهم بعد عبدالله بن رواحة.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٩٠٠): قصة عبدالله بن رواحة مع زوجته حين وقع على أَمَتِهِ مشهورةٌ، رويناها من وجوهٍ صحاح وذاك أَنه مشى ليلاً إلى أَمة له فنالها وفطنتْ له امرأَته فلامته فجحدها، وكانت قد رأَتْ جماعه لها، فقالت له: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن، فقال[1]: [من الوافر]

شهدتُ بأَن وعدَ اللَّـه حقٌّ وأَن النار مثوى الكافرينا
وأَن العرشَ فوق الماءِ طافٍ وفوق العرش ربُّ العالمينا

فقالت امرأَته: صَدَقَ الله وكَذَبَتْ عيني، وكانت لا تحفظُ القرآن ولا تقرأه.

---

(١) انظر ديوان ابن رواحة: ١٦٥ وتخريج البيتين فيه (ص: ١٩٠).

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (١: ٢٠٣): اقتضاب الكلام: ارتجاله، تقولُ هذا شعرٌ مُقْتَضَبٌ، وكتاب مقتضب.

٣ ـ كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه: في «السير» (٢: ٥١٩): كعب بن مالك بن أَبي كعب بن القين أَخو بني سَلَمَة.

وفي «الجماهر» (٣٦٠) لابن حزم: اسم أَبي كعب عمرو بن القَيْن بن سواد بن عديّ بن غنم بن كعب بن سلمة.

وأَنشد ابن إسحاق (٢: ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦) في أَشعار يوم أُحد[١]: [من الطويل]

أَلا هلْ أَتَى غسَّانَ عنا ودونهمْ ... من الأَرضِ خَرْقٌ سيره مُتَتَعْتِعُ

مُجالدنا عن ديننا كل فخمةٍ ... مذَرَّبَةٍ فيها القوانسُ تلمعُ

قال وكان كعب قال: «مجالدنا عن جِذْمنا كلّ فخمة» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَيصلح أَن تقولَ: مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهو أَحسن، فقال كعب: مجالدنا عن ديننا على ما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن هشام (٢: ٢٦١) لما قال كعب بن مالك[٢]: [من الكامل]

جاءت سخينةُ كي تغالبَ ربَّها ... ولَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلَّاب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد شكرك الله يا كعبُ على قولك هذا.

وفي «الاستيعاب» (١٣٢٣) يكنى أبا عبدالله، وقيل أَبا عبدالرحمن. كان قد غلب عليه في الجاهلية أَمرُ الشعر وعرف به، ثم أَسلم، وكان أَحدَ شعراءِ النبيّ صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردّون الأَذى عنه.

(١٣٢٥) وعن الزهري أن كعب بن مالك قال: يا رسولَ الله ماذا ترى في الشعر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن يجاهدُ بسيفه ولسانه.

---

(١) الشعر أيضاً في البداية والنهاية ٤: ٥٣ وانظر ديوانه: ٢٢٢.

(٢) البيت في اللسان والتاج (غلب) وديوانه: ١٨٢.

(١٣٢٤) شهد رضي الله تعالى عنه العقَبة الثانية، ولم يشهد بدراً، وشهد أُحداً والمشاهدَ كلَّها حاشا تبوك فإنه تخلف عنها، وقد قيل إنه شهد بدراً، فالله تعالى أعلم. وهو أحد الثلاثة الأنصار الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك، وهم: كعب بن مالك الشاعر هذا، وهلال بن أُمية، ومُرَارة بن ربيعة، فتاب الله تعالى عليهم وعَذرهم وغفرَ لهم ونزل القرآن المتلوّ، قال الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (التوبة: ١١٨). وكان كعب بن مالك يوم أُحد لبس لَأمة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وكانت صفراء، ولبس النبيّ صلى الله عليه وسلم لَأمته فَجُرِحَ كعبُ بن مالك أَحدَ عَشَر جرحاً.

وعن ابن سيرين قال: بلغني أن دوساً إنما أَسلمت فرقاً من قول كعب بن مالك[1]: [من الوافر]

قضينا من تِهامَةَ كلَّ وِتْرٍ ... وخيبرَ ثم أَجمعنا السُّيوفا
نخبِّرُها ولو نَطَقَتْ لقالت ... قواطِعُهُنَّ دوْساً أَو ثقيفا

فقالت دوس: انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزلْ بكم ما نزلَ بثقيف.

وتوفي كعب بن مالك في خلافة معاوية سنة خمسين، وقيل سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين سنة، يعد في المدنيين. انتهى.

الفصل الثالث
في استعمال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حسانَ بن ثابت في مجاوبة من خاطبه بالشعر

من «الذيل» لابن فتحون[2]: صُهْبَان بن شِمْر بن عمرو الحنفي سيِّدُ أَهلِ قُرَّان، كان ممن ثبت على إسلامه في الردة، وكان عيناً للمسلمين فيهم، وغيظاً

(١) ديوانه: ٢٣٤.
(٢) قارن بالإصابة ٣: ٢٥٤.

لمسيلمة، ولا يجدون إليه سبيلاً لشرفه وطاعة قومه له. ولما ظهر من أمر الردة ما ظهر كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: أما بعد فإنما أهلُ اليمامة خرجوا من ذِمَّةِ الله ورسوله، ومن يخرجْ منها يُخْذَلْ، وإني لست فيهم بذي براءة فأعتذر ولا لي فيهم قوةٌ فأنتصر، ولكني لا أزالُ أقوم فيهم مقاماً يطولُ لي فيه اللسان، وتقصر عني فيه اليد، أفُكُّ به العاني وأردُّ به المرتاب، والناسُ فينا ثلاثة أصناف: كافرٌ مفتون، ومؤمنٌ مقهور[1]، وشاكٌّ مغتوم، ولم ينف البلاءَ عنهم إلا بلوغ الكتاب، ولكلِّ أجلٍ كتاب، وبعث معه شعراً: [من البسيط]

أغوى حنيفَةَ شرُّ الناس كلِّهم ... دِخْلاً وأكذبُ من يَحْفَى وينتعلُ
[إني بريءٌ إلى الصديق معتذرٌ ... مما مسيلمة الكذاب ينتحل]
إني إليكم بريء من جريمتِهِ ... تجري بذلك مني الكُتْبُ والرسل
إني وناساً قليلاً من عشيرته ... عميُ العيون وفي أسماعنا ثِقَلُ
عَمَّا يزخرفه لسنا نوادِعُهُ ... فيما يجيءُ به ما حَنَّتِ الإبل
لا أُقْلِعُ الدهرَ جهدي عن مساءتهم ... بالمخزياتِ وإن خفوا[2] وإن جهلوا

ففرح أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه بكتابه والمسلمون ورووا شعره، وراجعه يشكر له ذلك، ويعدُهُ بالنصر، وأمر حَسَّاناً فراجعه بشعرٍ يتوعَّد فيه أهلَ الردة، ويشكر له ثباته أوله: [من الوافر]

أتانا ما يقولُ أخو سُحَيمٍ ... فعزَّتْ بالذي قال العيونُ

وآخره:

فنعم المرءُ صُهبانُ بن شِمْرٍ ... له في قومه حَسَبٌ ودين[3]

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: قوله: شاكٌ مغتوم: في «الصحاح» (٥: ١٩٩٥) الغُتْمة: العُجْمة،

---

(١) الإصابة: مغبون.

(٢) م: غفوا.

(٣) ورد هذا البيت في الإصابة.

والأغتم الذي لا يُفْصِحُ شيئاً، والجمع غُتْمٌ، ورجل غُتْمِيٌّ بالغين المعجمة والتاء المثناة.

الثانية: صُهبان ــ بالصاد المهملة المضمومة ــ في «الاشتقاق» لابن سيِّد: صِهبان جمع أَصهب، والألف والنون زائدة، كما تقول: أَحمر وحمران.

الثالثة: في «الديوان» (١: ١٨٢) شِمْر بكسر الشين وسكون الميم من أَسماءِ الرجال. وفي «الاشتقاق» لابن سيد: هو من التشمير في الأمر والجِدِّ فيه، أَو من تشميرِ الثوب.

obeikandl.com

الباب التاسع
في ذكر الخطيب في غير الصلوات
وفيه فصلان

الفصل الأول
في ذكر من كان خطيبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم

من «الجماهر» (٣٦٤) لابن حزم: ثابت بن قيس بن الشماس[1] خطيبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، وهو ممن شَهِدَ له بالجنة.

ومن «الاستيعاب» (٢٠٠): كان ثابت بن قيس خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما يقال لحسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (١: ١٢١) خطبتُ على المنبر خُطْبَةً بالضم، وخطبتُ المرأةَ خِطْبَةً بالكسر، واختطبت أيضاً فيهما، والخطيب: الخاطب، وخطب بالضم خَطابةً صار خطيباً.

وفي «المحكم»: خطب الخاطب على المنبر يخطبُ خَطابةً، واسم الكلام: الخُطبة، وخطب المرأة يخطبها خَطْباً وخِطْبَةً.

وقال ثعلب: خَطب على القومِ فجعلها مصدراً، ولا أدري كيف ذلك إلا أن يكون وضع الاسم موضع المصدر.

---

(١) بن: سقطت من م؛ وفي ط: شماس.

وذهب أَبو إسحاق: إلى أَن الخُطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجّع ونحوه.

الفصل الثاني
في ذكر نسبه وأَخباره

قال أَبو عمر في «الاستيعاب» (٢٠٠): ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأَغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

وقال ابن حزم في «الجماهر» (٣٦٤): ثابت بن قيس بن الشماس بن أبي زهير بن مالك بن ثعلبة القيسي فزاد أبا زهير. قال أبو عمر: يكنى أبا محمد وقيل أَبا عبدالرحمن، شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وقُتِلَ يومَ اليمامة شهيداً في خلافة أَبي بكر رضي الله تعالى عنه.

وروى النسائي[1] عن أَنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: لما نزلت ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا له بالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُون﴾ (الحجرات: ٢) قال ثابت بن قيس: أَنا الذي كنت أَرفع صوتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإني أَخشى أن يكونَ الله غضب عليَّ، فحزن واصفرَّ، ففقده النبيُّ صلى الله عليه وسلم فسأَل عنه، فقيل: يا نبيَّ الله إنه يقول: إني أخشى أَن أَكونَ من أَهلِ النار، وإني كنت أَرفع صوتي عند النبي صلى الله عليه وسلم. قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: هو مِنْ أَهلِ الجنة، قال: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجلاً[2] من أَهل الجنة.

ومن «السير» (٢: ٥٥٩) لابن إسحاق: لما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكةَ، وفرغ من تبوك وأَسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفودُ العربِ من كلِّ وجه.

---

(١) قارن بما جاء في الاستيعاب: ٢٠١.

(٢) م: رجلٌ.

قال ابن هشام (٢: ٥٦٠): حدثني أبو عبيدة: أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمَّى سنةَ الوفود.

قال ابن إسحاق (٢: ٥٦٠، ٥٦١ ـ ٥٦٢): فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زُرارة بن عُدَس التميميُّ في أشرافٍ من بني تميم، فيهم الأقرعُ بن حابس، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم وغيرهم، في وفدٍ عظيمٍ من بني تميم، فلما دخلوا المسجد نادَوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من وراءِ حجراته: أن اخرجْ إلينا يا محمد، فآذى ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم، فخرج إليهم، فقالوا: جئناك يا محمد لنفاخرك فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا، قال: قد أذنتُ لخطيبكم فليقلْ. فقام عطارد بن حاجب فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضلُ والمنُّ وهو أهلُه الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عِظاماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهلِ المشرق، وأكثره عدداً، وأيسره عُدَّة، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأُولي فضلهم؟ فمن فاخرنا فلْيعدَّ مثلَ ما عددنا وإنا لو نشاءُ لأكثرنا الكلام، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا وإنا نُعرف بذلك. أقول هذا لأن تَأْتوا بمثل قولنا، أو أمرٍ أفضلَ من أمرنا، ثم جلس. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابتِ بن قيس بن الشماس أخي بني الحارث بن الخزرج: قم فأجب الرجل في خطبته. فقام ثابت بن قيس فقال: الحمدُ لله الذي السمواتُ والأرضُ خَلْقُهُ، قضى فيهنَّ أمرَه، وسِعَ كرسيُّه علمه، ولمْ يكُ شيءٌ قطُّ إلا من فضله، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمَهُ نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضَله حسباً، فأنزل عليه كتابَه وائتمنه على خَلْقه، فكان خِيرَة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوي رحمه، أكرمُ الناس أحساباً، وأحسنُ الناس وجوهاً، وخيرُ الناس فِعالاً، ثم كان أوَّل الخلقِ إجابةً، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن، فنحن الأنصارُ أنصارُ الله ووزراء رسولِ الله، نقاتِلُ الناسَ حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسوله مَنَعَ مالَه ودمَه، ومَنْ كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً. أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمناتِ، والسلام عليكم ورحمةُ الله.

وساق بقية الحديث من قيام الزبرقان بن بدر وإنشاده ومجاوبة حسان له بنحوِ ما تقدم في أخبار حسان في باب الشاعر.

وقال أبو عمر رحمه الله تعالى في «الاستيعاب» (٢٠٢): كان على ثابت بن قيس لما قُتِلَ يومَ اليمامة شهيداً رحمه الله تعالى ورضي عنه، دِرعٌ نفيسةٌ، فمرَّ به رجلٌ من المسلمين فأخذها، فبينا رجلٌ من المسلمين نائمٌ إذ أتاه ثابت فقال له: إني أُوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلمٌ فتضيعه، إني لما قُتِلْتُ أمسِ مرَّ بي رجلٌ من المسلمين فأخذ درعي، ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فَرَسٌ يستَنُّ في طِوَله، وقد كفأ على الدرع بُرمة، وفوق البُرمة رَحْلٌ، فأتِ خالداً فَمُرْهُ أن يبعثَ إلى درعي فيأخذَها وإذا قدمت المدينةَ على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، فقل له: إنَّ عليَّ من الدَّيْن كذا وكذا، وفلانٌ من رقيقي عتيق وفلان. فأتى الرجل خالداً فأخبره، فبعث إلى الدرع فأتى بها، وحَدَّث أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيَّتَهُ وقال: ولا نعلم أحدا أُجيزَتْ وصيتُهُ بعد موته غير ثابت بن قيس، رحمه الله تعالى. انتهى.

فوائد لغوية:

الأُولى: في «المحكم» (١: ٢٩١) عُدَس، وعُدُس ففي تميم بضمِّ الدال، وفي سائر العرب: بفتحها. وفي «الصحاح» (٢: ٩٤٤) عُدَس مثل: قُثَم اسمُ رجلٍ وهو زُرارة بن عُدَس.

الثانية: في «الصحاح» (٦: ٢٣٢٣) قال أبو زيد: حَيِيتُ منه أَحْيَا استَحْيَيْتُ، ويقال: استَحيْتُ بياء واحدة وأصلُهُ استحييت، ويقال: استحياه واستحيا منه، بمعنًى من الحياء.

الثالثة: في «الصحاح» (١: ٦٨) كفأتُ الإناء: كببته، وأكفأته: أملتَه، والإكفاءُ في الشعر: أن يخالف بين قوافيه بعضها ميم وبعضها نون. وقال الفراء: هو أن يخالفَ بين حركات الرويِّ وهو مثلُ الإقواء.

الباب العاشر
في كاتب الجيش
وفيه خمسة عشر فصلاً

الفصل الأول
في أمر النبـيّ عليه السلام بكَتْبِ الناسِ
وثبوت العمل بذلك في عصره صلى الله عليه وسلم

روى البخاري (٤:٨٧) رحمه الله بسنده عن حُذَيْفةَ بنِ اليمان رضي الله تعالى عنه قال، قال النبـي صلى الله عليه وسلم: اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل، فقلنا: نخافُ ونحن ألف وخمسمائة؟ فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلّي وحده وهو خائفٌ.

وروى مسلم (١:٣٨٠ ـ ٣٨١) رحمه الله تعالى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: سمعتُ النبـيَّ صلى الله عليه وسلم يخطبُ يقول: لا يَخْلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا ومعها ذو مَحْرَمٍ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجّةً، وإني اكتُتِبْتُ في غزوة كذا وكذا، قال: انطلق فحُجَّ مع امرأتك.

ورواه البخاري (٤:٧٢)[1] رحمه الله تعالى أيضاً عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: جاء رجلٌ إلى النبـيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله إني اكتتبتُ في غزوة كذا وكذا وامرأتي حاجّةٌ قال: ارجع فحُجَّ مع امرأتك.

---

(١) قارن أيضاً بالبخاري ٣:٢٤.

وأنشد ابن إسحاق في «السير» (٢: ٤٧١) في أشعار يوم حنين لضَمْضَم بن الحارث[1] السُّلَمِيِّ: [من الكامل]

إذ لا أزالُ على رِحالةِ نَهْدَةٍ ... جرداءَ تُلْحِقُ بِالنِّجَادِ إزاري

يوماً على أَثَرِ النِّهابِ وتارَةً ... كُتِبَتْ مُجَاهِدَةً مع الأنصار

فائدة لغوية:

في «المحكم»: الجيش: الجند، وقيل: جماعة الناس في الحرب، والجمع جيوش. وفي «الصحاح» (٣: ٩٩٩) يقال: جيَّشَ فلانٌ أي جَمَعَ الجيوشَ، واستجاشه أي طلب منه جيشاً. وفي «الأفعال» لابن طريف: جاش الماءُ: ارتفع، وكذلك حركةُ القوم، ومنه الجيش.

الفصل الثاني
في ذكر من تولَّى ذلك في عهده عليه السلام

قد ثبت في الحديث الذي تقدم عن البخاري رحمه الله تعالى أن ممن تولى ذلك حذيفة بن اليمان، رضي الله تعالى عنه.

من «الاستيعاب» (٣٣٤): حذيفة بن اليمان، يكنى أبا عبدالله، واسم اليمان حُسَيْلُ بن جابر، واليمان لقبٌ، وهو حذيفة بن حِسْل، ويقال: حَسْل، ويقال حَسِيل ــ قاله في اسم والده ــ ابن جابر بن عمرو بن ربيعة بن جُروة بن الحارث بن مازن بن قُطَيْعَة بن عبس ــ العبسي القُطَعي من بني عبس بن بغيض بن رَيْث بن غَطَفان، حليف لبني عبدالأشهل من الأنصار. وإنما قيل لأبيه حسيل: اليمان، لأنه من ولد اليمانَ: جُرْوة بن الحارث، وكان جروة بن الحارث يقال له اليمان، وإنما سمي اليمان لأنه أصاب في قومه دماً فهرب إلى المدينة فحالف بني عبدالأشهل فسماه قومه: اليمان، لأنه حالف اليمانية. شهد حذيفة وأبوه حسيل وأخوه صفوان

---

(١) م: حارث.

أُحداً، وقَتَلَ أَباه يومئذ بعضُ المسلمين وهو يحسبه من المشركين، فتصدَّق ابنه حذيفة بديته على مَنْ أَصابه من المسلمين.

قلت: قاله في اسم والده، وذكره ابن إسحاق في «السير» أَيضاً.

وقال أَبو الفرج الجوزي رحمه الله تعالى في «الصفوة» (١: ٢٤٩) في سبب غيبته عن حضور بدر قال: خرج حذيفة وأَبوه فأَخذهما كفار قريش فقالوا: إنكما تريدان محمداً، فقالا: ما نريد إلا المدينة، فأَخذوا منهما عهداً أَلا يقاتلا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأَن ينصرفا إِلى المدينة، فأَتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخبراه وقالا: إن شئت قاتلنا معك فقال: بل تفيان ونستعينُ بالله عليهم، ففاتهما بدرٌ وشهد حذيفة أُحداً وما بعدها.

قال أَبو عمر: كان حذيفة من كبارِ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الخندق ينظرُ إِلى قريشٍ، فجاءه بخبر رحيلهم، وهو معروفٌ في الصحابة بصاحب سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان عمر يسأَله عن المنافقين، وينظر إِليه عند موتِ من مات منهم، فإِن لم يشهد جنازَته حذيفةُ لم يشهدها عمرُ.

مات حذيفةُ سنة ستٍّ وثلاثين[1] بعد قتل عثمان في أَول خلافة عليّ، وقيل سنة خمس وثلاثين، والأَولُ أَصحّ، وكان موته بعد أَن أَتى نعي عثمان إِلى الكوفة، ولم يدرِك الجمل.

وفي «تاريخ بغداد» (١: ١٦٢) للخطيب: ولَّاه أَمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما المدائن، فأَقام بها إِلى حين وفاته سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بأَربعين ليلة.

---

(١) ط: سنة ثلاث وثلاثين، وعلَّق عليه بهامش النسخة من اسمه أحمد الصديق: هذا تخليط عجيب لا يدرى أمن المؤلف أم من غيره فعثمان مات سنة ٣٥... الخ.

فائدتان لغويتان:

الأُولى: جُرْوة: جدّ حذيفة بضم الجيم، كذلك ضبطه الحافظ أَبو علي الغسّاني حيثما وقع في «الاستيعاب» بخطه.

الثانية: في «الصحاح» (٦:٢٢١٩) اليمن بلادُ العرب، والنسبة إِليهم يمني ويمانٍ مخففة والأَلف عوضٌ من ياءِ النسب ولا يجتمعان. وقال سيبويه: وبعضهم يقول: يمانيّ بالتشديد، وقومٌ يمانِيَة ويمانون مثل ثمانية وثمانون، وامرأَة يمانية أَيضاً، وأَيمن الرجل ويمن ويامن: إِذا أَتى اليمن، وكذلك إِذا أَخذ في سَيْره يميناً، يقال: يامِنْ يا فلانُ بأَصحابك أَي خُذْ بهم يَمنةً، ولا تقل: تيامن بهم، والعامة تقوله.

الفصل الثالث
في ثبوت العطاء
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى أَبو داود (٢:١٢٣) رحمه الله تعالى عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إِذا أَتاه الفيءُ قسمه في يومه، فأَعطى الأَهل حَظَّين، وأَعطى الأَعزب حَظًّا، فدُعِينا، وكنت أُدْعَى قبل عمار، فدُعِيتُ فأَعطاني حظين ــ وكان لي أَهل ــ ثم دعا بعدي عمار بن ياسر فأَعطاهُ حظاً واحداً.

وروى مالك في «الموطأ» (١٦٣) رحمه الله تعالى عن القاسم بن محمد أَن أَبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان إِذا أَعطى الناسَ أَعْطِيَاتِهم يسأَلُ الرجل: هل عندك من مالٍ وَجَبَتْ عليك فيه الزكاة؟ فإِن قال: نعم، أَخَذ من عطائه زكاةَ ذلك المال، وإِن قال: لا، أُسْلِمَ إِليه عطاؤه ولم يأخذْ منه شيئاً.

فوائد لغوية في أربع مسائل:

المسأَلة الأُولى: في الفيء لغةً: في «الصحاح» (١:٦٣): فاءَ يفيء فيئاً: رجع، وأَفاءه غيرُه: رجَعه، وفلان سريع الفيء من غضبه. وفي «المحكم» فاء إِلى الأَمر وفاءهُ فَيْئاً وفُيُوءًا: رجع إِليه، وأَفاء واستفاء كَفَاء، وفاء من غضبه: رجع، وإِنه

لسريع الفيء والفَيْئة أي الرجوع. والفيء ما كان شمساً فنسخه الظلّ، وفاء الفيء: تحوَّلَ.

المسألة الثانية: في الفيء في الشرع: قال ابن شأس في «الجواهر»[1] الفيء كلُّ مالٍ فاء للمسلمين من الكفار من خُمْس، وجزية أهل العَنوةِ وأهلِ الصلح وخراج أرضهم، وما صولح عليه الحربيون من هُدْنةٍ وَما أُخِذَ من تجّار الحربيين، وتجار أهل الذمة، وخمس الركاز وخمس المعادن. وقال أبو عبيد في كتاب «الأموال» (٢٤): وهو الذي يعمُّ المسلمين غنِيَّهم وفقيرهم فيكون في أَعْطِيَةِ المقاتلة، وأَرزاقِ الذرية وما ينوبُ الإمام من أُمور [الناس] بحسنِ النظر للإسلام وأهله.

المسألة الثالثة: «العطاء»: قال القاضي أبو الوليد الباجي رحمه الله تعالى في «المنتقى»: الأَعْطِيَةُ في اللغة اسم لما يعطيه الإنسان غيره على أي وجهٍ كان، إلا أنه في الشرع واقعٌ على ما يعطيه الإمام الناسَ من بيتِ المال على سبيل الأَرزاق. وفي «المحكم» (٢:٢٢٣) العطاء والعطية: المُعْطَى، والجمعُ: أَعْطِيَةٌ، وأَعْطِياتٌ جمع الجمع. وفي «الصحاح» (٦:٢٤٣٠) أعطاه مالاً، والاسم: العَطَاءُ، والعطيّة: الشيء المُعْطى، والجمع العطايا.

المسألة الرابعة: «الاطماع»: في «الكتاب المظفّري» الطَّمَع: رزقُ الجند، أَمر بأَطماعهم أي بأَرزاقهم. وفي «المحكم» (١:٣٥٢): وأطماع الجند: أرزاقهم، وقيل: أوقات قبضها، واحدها طَمَعٌ.

الفصل الرابع
في وضع عمر رضي الله تعالى عنه الديوان والسببُ لذلك

من تاريخ ابن الأثير (٢:٥٠٢): وفي سنة خمس عشرة من الهجرة فَرَضَ عمر رضي الله تعالى عنه الفروضَ ودوَّن الدواوينَ وأَعطى العطايا.

---

(١) عبدالله بن نجم بن شأس الجذامي السعدي أبو محمد جلال الدين وكتابه «الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة» كتاب نفيس وضعه على ترتيب الوجيز للغزالي، وهو مرجع المالكية بمصر، وكانت وفاته سنة ٦١٠ (وفيات الأعيان ٣:٦١ والديباج المذهب ١:٤٤٣).

ومن «الأحكام السلطانية» (١٩٩) للماوردي: اختلف الناسُ في السبب الذي حَمَلَ عمر رضي الله تعالى عنه على ذلك، فقال قومٌ: إنه بعث بعثاً وعنده الهرمزان، فقال لعمر: هذا بعثٌ قد أَعطيتَ أَهله الأَموال فإن تخلَّفَ منهم رجلٌ أَخلَّ بمكانه، من أَين يعلم به؟ فأثْبِتْ لهم ديواناً، فسأَله عمر عن الديوان حتى فَسَّرَهُ له.

وقال آخرون: سببه أَن أَبا هريرة رضي الله تعالى عنه قدم عليه بمالٍ من البحرين، فقال عمر: ماذا جئت به؟ فقال: خمسمائة أَلف درهم، فاستكثره عمر وقال: أَتدري ما تقولُ؟ قال: نعم، مائة أَلفٍ خمسَ مرات، فصعد عمر المنبر فحمد الله وأَثنى عليه بما هو أَهله ثم قال: أَيها الناس، قد جاءنا مالٌ كثير، فإن شئتم كلناه لكم كيلاً، وإن شئتم عددناه لكم عدّاً، فقام إليه رجلٌ فقال: يا أَمير المؤمنين قد رأَيتُ الأَعاجم يدوّنون ديواناً لهم، فدوِّنْ أَنت ديواناً، فاستشار عمر رضي الله تعالى عنه المسلمين في تدوين الدواوين، فقال عليّ رضي الله تعالى عنه: تقسمُ كلّ سنةٍ ما اجتمع إليك من المال ولا تمسك منه شيئاً، وقال عثمان رضي الله تعالى عنه: أَرى مالاً كثيراً يسع الناس وإن لم يُحْصَوْا حتى يُعلَمَ من أَخذ ممن لم يأْخذْ خشيتُ أَن ينتشرَ الأَمر. فقال خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه: قد كنتُ بالشام فرأَيت ملوكاً دونوا دواوين وجنَّدوا أَجناداً، فدوِّنْ ديواناً وجنِّدْ جنوداً، فأَخذ بقوله، ودعا عقيل بن أَبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم، وكانوا من شباب قريش فقال: اكتبوا الناسَ على منازلهم.

فائدة لغوية:

في «الصحاح» (٣:١٠٩٧) الفرضُ: العطيةُ المرسومة، يقال: ما أَصبتُ منه فرضاً ولا قرضاً. وأَفرضته: إذا أَعطيته، وفرضتُ له في العطاء، وفرضتُ له في الديوان.

الفصل الخامس
ذكر من تولَّى كتابةَ الديوان
في عصر عمر، رضي الله تعالى عنه

تولَّى ذلك النفر الثلاثة الذين ذكرهم الماوردي، وهم:

١ ــ **عقيل بن أَبي طالب** بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي، يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبدالمطلب.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٠٧٨): يكنى أَبا يزيد، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أَبا يزيد إني أُحبك حبين: حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أَعلم من حبّ عمي إِياك. أَسلم رضي الله تعالى عنه قبل الحديبية، وشهد غزوةَ مؤتة، وكان أَسنَّ من أَخيه جعفر رضي الله تعالى عنهما بعشر سنين، وكان جعفر أَسنَّ من عليٍّ رضي الله تعالى عنهما بعشر سنين، وكان عقيل أَنسبَ قريشٍ وأَعلمهم بأَيامها، وكانت له طنفسة تُطْرَحُ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويُجْتَمَعُ إِليه في علم النسب وأَيام العرب. وتوفي في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهما.

٢ ــ **ومخرمة بن نوفل القرشي**: قال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (١٣٨٠): كان من مُسْلِمَة الفتح، وكان له سنٌّ وعلم بأَيام قريش، وكان يؤخذ عنه النسب، وكان أحدَ علماء قريش، يكنى أَبا صفوان، وقيل أَبَا المِسْوَر بابنه المسور، وقيل أَبا الأسود، وأَبو صفوان أَكثر، وكان شَهْماً أَبيّاً، وهو أَحد المؤلّفة قلوبهم، وممن حَسُنَ إِسلامه منهم.

مات بالمدينة في زمن معاوية سنة أَربعٍ وخمسين وقد بلغ مائةَ سنة وخمس عشرة، وكُفَّ بصره في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه.

٣ ــ **وجبير بن مطعم القرشي النوفلي**: قال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٢٣٢): يكنى أَبا محمد، وقيل أَبا عدي، وكان من أَنسبِ قريشٍ

لقريشٍ والعربِ قاطبة. أَسلم عام الفتح، وقيل عام خيبر، وذكره بعضهم في المؤلفة قلوبهم، وفيمن حسن إسلامه منهم، ومات سنة سبع وخمسين وقيل سنة تسع وخمسين في خلافة معاوية.

فائدة لغوية:

«الطِّنْفِسة»: في «المشارق» (١: ٣٤٠) يقال: بضمِّ الطاء والفاء، وبكسرهما، وبكسر الطاء وفتح الفاء وهو الأفصح، وحكى أَبو حاتم الكسرَ والفتحَ في الطاء، وأَما الفاء فالكسر لا غير، وهي النمرقة، وهي بساط صغير.

الفصل السادس
في بيان قولهم في عمر رضي الله تعالى عنه
إنه أَولُ مَنْ دَوَّنَ الدواوين وفرض الأعْطِيات

قلت: قد ثبت بما تقدَّم من صحيح الحديث في صدر الباب أَن النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَمر بكتابةِ الناس، وأَنهم كُتِبُوا في عصره صلى الله عليه وسلم وأَنه كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقسمُ الفيءَ، وأَن أَبا بكر كان يُعطي الناسَ الأَعْطِيات. ثم اتفق أَهلُ الأَثرِ وأَصحابُ الأَخبار والسير على أَن عمرَ رضي الله تعالى عنه أَولُ من وضع الديوانَ في الإسلام وفرضَ الأَعطيات. وهذا غيرُ مخالفٍ لما تقدم، فإنهم يعنون أَنه أَولُ من دوَّن الدواوين للعطاءِ ورتَّبَ الناس فيها وقدَّرَ الأَعطيات، ولأن كتابة الناس في عصر النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت في أَوقات، نحو كَتْبِهم حين أَمر حذيفةَ رضي الله تعالى عنه بإحصاء الناس، ونحوُ كَتْبِ من تَعَيَّنَ منهم في بعثٍ من البعوث كما في خبر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. وكذلك العطاء في عصره ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يكن في وقتٍ معيَّن ولا مقداراً مُعيناً. فلما كانت خلافة عمر رضي الله تعالى عنه وكثر الناس، وجُبيت الأَموالُ، وفُرِضَتْ الأَعطيات، وتأَكدت الحاجة إلى ضبطهم، وَضَعَ الديوانَ بعد مشاورته للصحابة رضي الله تعالى عنهم. وهذا كما قالوا في عثمان رضي الله تعالى

عنه إنه أول من جمع مُصْحَف القرآن، وقد كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه جمعه في صُحُف، وبقيت تلك الصحفُ عند حفصة أُم المؤمنين رضي الله تعالى عنها إلى زمن عثمان رضي الله تعالى عنه، ذكر ذلك أبو محمد ابن عطية وغيره. وكان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم قد جمعوه أيضاً قبل ذلك، ومن أشهرهم: عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

قال أبو عمر ابن عبدالبر (٩٩٢): إن رجلاً جاء إلى عمر وهو بعرفات فقال: جئتك من الكوفة، وتركتُ بها رجلاً يُملي المصاحفَ عن ظهر قلب، فغضب لذلك عمر غضباً شديداً، وقال: ويحك مَنْ هو؟ قال: عبدالله بن مسعود، فذهب عنه ذلك الغضبُ وسكن وعاد إلى حاله وقال: والله ما أعلمُ من الناس أحداً هو أحقُّ بذلك منه. انتهى.

وقالوا: إن عثمان رضي الله تعالى عنه حين أكمل كتْبَ المصحف أمر بانتزاع ما عند الصحابةِ من المصاحف، فانتزعَت إلا مصحفَ عبدالله بن مسعود. فهذا يدل على أنه قد كانت مصاحف جُمِعَتْ قبل مصحفِ عثمان، وإنما نسبوا ذلك إليه لِأنه المصحف الذي بُعِثَتْ نُسَخُهُ إلى الأمصار، وأتَمَّ المسلمون به في جميع الأقطار.

فائدة لغوية:

في «المحكم» (٤:٢٠٧) ظهر القلب: حفظُهُ عن غيرِ كتاب، وقد قرأه ظاهراً واستظهره.

الفصل السابع
في معنى الديوان والزمام

أما «الديوان» فقال ابن السيد في «الاقتضاب» (١:١٩٢) الديوان: اسمٌ أعجمي أصله: دِوَّان بواوٍ مشدّدة، فقلبت الواو الأُولى منهما ياءً لانكسار ما قبلها بدليل قولهم في جمعه: دواوين، وفي تصغيره: دُوَيْوين، فرجعت الواو حين ذهبت

الكسرة، قال: ومن العرب من يقول في جمعه: دياوِين بالياء، وأنشد[1]:[من الوافر]

عَـدانِي أن أَزورَكِ أُمَّ عمـرو ديـاوينٌ تشقَّق[2] بـالمِـدادِ

وقال ابن قتيبة «في صناعة الكتابة» له: وإنما جمعوه بالياءِ على لفظه، قال: وداله بالكسر ولا تفتح.

قال ابن السيد (١: ١٩٢ ـ ١٩٣): وفي ديوان شذوذٌ عما عليه جمهور الأسماء في الاعتلال، قال: والأصلُ في تسميتهم الديوان ديواناً: أن كسرى أمر كُتَّابه أن يجتمعوا في دارٍ واحدة ويعملوا حسابَ السواد في ثلاثة أيام، وأعجلهم فيه، فأخذوا في ذلك، واطَّلَع عليهم لينظرَ ماذا يصنعون، فنظر إليهم يحسبون بأسرع ما يمكن وينسخون كذلك، فعجب من كثرة حركتهم فقال: أي ديوانه: ومعناه: هؤلاء مجانين، وقيل: معناه: شياطين، فسُمِّيَ موضعهم ديواناً، واستعملته العربُ، وجعلوا كلَّ مُحَصَّل من كلامٍ أو شعرٍ ديواناً. وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: إذا قرأتم شيئاً من القرآن ولم تعرفوا ما غريبه، فاطلبوه في شعر العرب فإنه ديوانها[3]. انتهى.

وأما الزمام فقال علي بن خيرة الميورقي في كتابه «ترتيبُ الأعمال»: إنما قيل له زمام لِأنه مشتقٌّ من زمام الناقة، الذي هو مانعُها من إرادةِ هواها، وقاصرُهَا على المكان الذي عُقِلَت فيه. قال: وكذلك الزمام سمِّي زماماً لحصرِ الأمور فيه، وزَمِّها وعَقْلِها عن التلف، وخشية النسيان لها، واتقاء الغفلة فيها. قال: وقيل للزمام ديوان لِأنه جُعِل كالكتاب الذي تُدَوَّن فيه المعاني والعلوم وتُبَيَّنُ، لِتُعلم ولتُحفظ في كلِّ وقت، فهو مدون لتقييد الأشياء والمعاني التي يُخْشَى عليها النسيان.

قال ابن القوطية في أفعاله (٢: ٩٨): زمَّ البعير: أوثقه بالزمام، والشيءَ: شَدّه.

---

(١) البيت في اللسان (دون) والمعرب: ١٥٤ وشفاء الغليل: ٨٢ ورسائل المعري ١: ٢٤.

(٢) اللسان: تنفق.

(٣) الاقتضاب: ديوانهم.

قال الجوهري (٥: ١٩٤٤): الزمام: الخيط الذي يشد في [البرة] أو في الخشاش ثم يُشَدُّ في طرف المِقْوَدِ، وقد يسمى المقودُ زماماً.

أنشد الأعلمُ لامرىء القيس[١]:

فقلتُ لها سيري وأَرخي زِمَامَهُ ولا تُبْعِدينَا من جَنَاكِ المُعَلَّلِ

الفصل الثامن
بمن يُبْدَأ وقتَ كَتْبِ الديوان

ذكر الماورديُّ في «الأحكام السلطانية» (٢٠٠) أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حين أَراد وَضْعَ الناسِ في الديوان قال: بمن أَبدأُ؟ فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه: ابدأ بنفسك، فقال عمر رضي الله تعالى عنه: أذكر أني حضرتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وأنه يبدأ ببني هاشمٍ وبني المطلب، فبدأ عمر رضي الله تعالى عنه بهم، ثم بمن يليهم من بنيهم من قريش، بطناً بعد بطن، حتى استوفى قبائلَ قريش، ثم انتهى إلى الأنصار فقال عمر: ابدأوا برهطِ سعد بن معاذ بن الأوس ثم بالأقرب فالأقرب من سعد. واستقر ترتيبُ الناسِ في الديوان على تقدُّمِ النَّسَبِ المتصلِ برسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الماوردي (٢٠٤): الترتيب المعتبر في الديوان عامٌّ وخاصّ. فالترتيب العامّ ترتيبُ القبائِل والأجناس حتى تتميز كلُّ قبيلة عن غيرها وكلّ جنسٍ ممَّن خالفه، ولا يخلو حالُهم من أَن يكونوا عرباً أو غيرهم، فإن كانوا عرباً ترتبت قبائلهم بالقربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل عمر رضي الله تعالى عنه، فتقدم عدنان على قحطان لِأن النبوة في عدنان، وعدنان يجمع ربيعةَ ومضر، فتقدم مضر على ربيعة لِأن النبوة في مضر، ومضر تجمع قريشاً وغيرهم، فتقدم قريش لِأن النبوة فيهم وقريش تجمع بني هاشم وغيرهم، فتقدم بنو هاشم لأن النبوة فيهم، وإن

---

(١) هو من معلقته، انظر ديوانه: ١٢.

كانوا غير عرب فإن كانت لهم سابقةٌ في الإسلام ترتَّبوا عليها، وإن لم يكنْ سابقةٌ ترتبوا بالقربى من وليّ الأمر، فإن تساوَوا فبالسبقِ إلى الطاعة.

والترتيبُ الخاصُّ في ترتيب الواحدِ بعد الواحد: فيترتب بالسابقة في الإسلام، فإن تكافؤوا في السابقة ترتبوا بالدين، فإن تقاربوا ترتبوا بالسن، فإن تقاربوا في السن ترتبوا بالشجاعة، فإن تقاربوا فيها فوليّ الأمرِ مُخَيَّر، إن شاء رتَّبهم بالقرعة أو رتبهم على رأْيه واجتهاده.

الفصل التاسع
من كم يجيز الإمام من يُرْسَمُ في الديوان

روى الترمذي (٣:١٢٧) رحمه الله تعالى عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: عُرضتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش وأَنا ابنُ أَربع عشرة فلم يقبلني، ثم عُرِضتُ عليه من قابل في جيش وأَنا ابن خمس عشرة فقبلني.

قال نافع: فحدثتُ بهذا الحديث عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه فقال: هذا حدُّ ما بين الصغير والكبير، ثم كتبَ أَن يُفْرَضَ لمن بلغ الخمس عشرة.

الفصل العاشر
في عَرْض الناسِ في كلِّ سنة

ذكر أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٦٥٥) عند ذكر سَمُرَة بن جُندَب أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض غلمانَ الأَنصار في كلِّ عام، فمرَّ به غلامٌ فأَجازه في البعث، وعُرِض عليه سَمُرَةُ بن جُندَب من بعده فردَّه، فقال سمرة: يا رسولَ الله لقد أَجزت غلاماً ورددتني، ولو صارعتُهُ لصرعته، قال: فصارع، فصارعته فصرعته، فأجازني في البعث.

فائدة لغوية:

لابن طريف في «أفعاله»: عرَضتُ الجندَ: نظرتُ حالهم ـ بفتح الراء ـ عَرْضاً. الجوهري في «الصحاح» (٣:١٠٨٢): عرضت الجند عَرْضَ العين: إذا أمررتهم عليك ونظرت ما حالهم، وقد عرض العارضُ الجندَ يعرِضهم بالكسر، واعترضوا هم، ويقال: اعترضت على الدابة: إذا كنت وقت العرض راكباً.

الفصل الحادي عشر
في العريش يُبْنَى للرئيس يُشْرِفُ منه على عسكره

قال الهروي: الوشيع: عريشٌ يبنى للرئيس في العسكر يُشْرِفُ منه على عسكره.

وكان أَبو بكر رضي الله تعالى عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوشيع، يعني العريش، يومَ بدر.

وفي «الروض الأُنف» (٥:١٨٢) العريشُ: كلُّ ما علاك وأَظلَّكَ من فوقك، فإن علوته أَنت فهو عرشٌ لك لا عريش.

الفصل الثاني عشر
في الدعاء وقت العرض

قد تقدَّمَ في فَصْلِ ثبوتِ العطاء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الفصلُ الثالث من هذا الباب، ما رواه أَبو داود (٢:١٢٣) عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أَتاه الفيءُ قسمه في يومه، فأَعطى الآهل حظين، وأَعطى الأَعزبَ حظّاً، فدُعينا، وكنتُ أُدْعَى قبل عمار، فدُعيتُ فأَعطاني حظين، وكان لي أَهل، ثم دعا بعدي عمار بن ياسر، فأُعطي حظاً واحداً.

الفصل الثالث عشر
في وقتِ العطاء

ذكر الشيرازي في كتابه «طبقات الفقهاء» (٦٦) له: أَن أَبا الزناد عبدالله بن ذكوان مولى رملةَ بنتِ ربيبة وفد على هشام بن عبدالملك بن مروان بحسابِ ديوانِ المدينة، فسأَل هشامٌ ابنَ شهاب: أَي شهرٍ كان يخْرجُ فيه العطاء لِأهل المدينة؟ فقال: لا أَدري. قال أَبو الزناد: فسأَلني هشام، فقلتُ: المحرَّم، فقال هشامٌ لابن شهاب: يا أَبا بكر هذا علمٌ أَخذته اليوم، فقال ابنُ شهاب: مجلسُ أَمير المؤمنين أَهلٌ أَن يفادَ منه العلم.

وأَنشد أَبو بكر محمد بن يحيى الصولي في كتاب «الورقة» الذي أَلفه في أَشعار الخلفاء للوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان حين استخلف[1]:

ضمنتُ لكم إِن سلَّم الله مهجتي ... عطاءً ورزقاً كاملاً في المحرَّمِ
فلا تسخطوني لا أَبا لِأبيكم ... فإِني لكم كالوالد المترحم

الفصل الرابع عشر
في دفع العروض في العطاء

روى البخاري (٧: ٢٠٠)[2] رحمه الله تعالى عن المِسوَر بن مَخرمة رضي الله تعالى عنه أَن أَباه مخرمة قال له: يا بنيّ بلغني أَن النبي صلى الله عليه وسلم قدمتْ عليه أَقبيةٌ فهو يقسمها، فاذهبْ بنا إِليه، فذهبنا فوجدنا النبيّ صلى الله عليه وسلم في منزله، فقال لي: يا بني ادعُ لي النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأَعظمتُ ذلك، فقلت: أدعو لكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: يا بنيَّ إِنه ليس بجبارٍ، فدعوتُهُ فخرج وعليه قباء من ديباجٍ مُزرّرٌ بالذهب، فقال: يا مخرمة هذا خبأته لك، فأَعطاه إِياه.

---

(١) ديوان الوليد بن يزيد (عطوان): ١١٦ (عن أنساب الأشراف).
(٢) قارن بالبخاري ٣: ٢٠٩، ٧: ١٨٦.

وذكر ابن المنذر رحمه الله تعالى في «الإشراف» عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه كان يأخذ الجزيةَ من كلِّ ذي صِنْع: من صاحب الإبر إبراً، ومن صاحب المسالّ مسالَّ، ومن صاحبِ الحبالِ حبالاً، ثم يدعو العرفاءَ فيعطيهم الذهبَ والفضةَ فيقسمونه، ثم يقول: خذوا هذا فاقتسموه، فيقولون: لا حاجةَ لنا فيه، فيقول: أَخذتم خياره وتركتم عليَّ شرارَه، لَتَحْمِلُنَّهُ.

فوائد لغوية في ثلاث مسائل:

الأُولى: في «الصحاح» (٣:١٠٨٣): العَرْض: المتاعُ، وكل شيءٍ فهو عَرْضٌ سوى الدراهم والدنانير فإنهما عين، وقال أَبو عبيد: العُروضُ: الأَمتعةُ التي لا يدخلها كيلٌ ولا وزن، ولا تكون حيواناً ولا عقاراً. تقول: اشتريتُ المتاعَ بعَرْضٍ أَي بمتاع مِثْلِه. وفي «ديوان الأدب» (١:١١٥): العَرض بفتح العين وسكون الراء: ما ليس بنقد.

الثانية: الأَقبية جمع قباء. وفي «الديوان» (٤:٥٤) وهو القَباء بفتح القاف ممدود. وفي «الأَفعال» لابن طريف: قبوت الشيء قبواً: إِذا جمعتَهُ بأَصابعك، وبه سُمِّي القباء لاجتماع أَطرافه.

الثالثة: في «المشارق» (١:٣١٠) مزررةً بالذهب: أَي لها أَزرارٌ منه، أَو زُيِّنَتْ به أَزرارها. وفي «الصحاح» (٢:٦٦٩) الزِّرّ واحدُ أَزرارِ القميص. وفي «المشرع الروي»: هو ما يُدخل في العُرَى. وفي «المحكم»: الزِّرّ: الذي يوضع في القميص، وفي المثل: أَلزمُ من زِرٍّ لِعُروة. وفي «الصحاح» (٢:٦٦٩) زررته أَزُرّه بالضمّ زَرّاً: إِذا شددتَ أَزراره عليك، ويقال: ازرُرْ عليك قميصَك، وزُرَّه وزُرِّه وزُرِّه، وأَزْرَرْتُ القيمصَ: إِذا جعلتُ له أَزْراراً فتزرَّرَ.

---

(١) محمد بن إبراهيم بن المنذر أبو بكر النيسابوري نزيل مكة: كان إماماً مجتهداً حافظاً ورعاً، وله كتاب «الاشراف في اختلاف العلماء» وكانت وفاته سنة ٣١٨ وقيل قبل ذلك (طبقات الشيرازي: ٨٩ وابن خلكان ٣: ٣٤٤).

الفصل الخامس عشر
في الرجل يموت بعد أَن يستوجبَ العطاءَ أَو بعضه

ذكر أَبو عبيد في «كتاب الأموال» (٣٣٣) أَن رجلاً مات بعد ثمانيةِ أَشهرٍ من السنة فأَعطاه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ثلثي عطائه.

وذكر أبو عبيد (٣٣٢) أَيضاً قال: قال الزبير لعثمان رضي الله تعالى عنهما بعدما مات عبدالله بن مسعود: أَعطني عطاءَ عبدالله، فعيالُ عبدالله أَحقُّ به من بيت المال، فأَعطاه خمسة عشر أَلفاً.

قال أَبوعبيد، قال يزيد: وكان الزبير وصيَّ عبدالله بن مسعود.

وذكر أَبو عبيد (٣٣٢) أيضاً عن عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه أَنه كان إذا استوجب الرجلُ عطاءه ثم مات أَعطاه ورثته.

وفي «الاستيعاب» (١٨٢٧) ذكر الزبير بن بكار بسنده عن أَبي وجزة عن أَبيه قال[1]: حضرَت الخنساءُ بنت عمرو بن الشريد السُّلَمية حربَ القادسية ومعها بنوها أَربعة رجال، فقالت لهم من أَول الليل: يا بنيّ إنكم أَسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجلٍ واحد كما أنتم بنو امرأَة واحدة، ما خنت أَباكم، ولا فضحتُ خالكم، ولا هَجَّنْتُ حسبكم، ولا غَيَّرْتُ نسبكم، وقد تعلمون ما أَعدَّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أَن الدارَ الباقيةَ خيرٌ من الدار الفانية، يقول الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وصَابِرُوا ورَابِطُوا واتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾(آل عمران: ٢٠٠) فإذا أَصبحتم غداً إن شاء الله تعالى فاغدوا إلى قتالِ عدوكم مستبصرين، وبالله على أَعدائه مستنصرين، فإذا رأَيتم الحربَ قد شَمَّرَتْ عن ساقها، واضطرمتْ لظًى على سياقها، وَجُلِّلَتْ ناراً على أَرواقها، فتيمموا وطيسَها، وجالدوا رئيسها، عند احتدامِ خميسها، تظفروا

---

(١) انظر أيضاً قصة الخنساء وأبنائها في طبقات السبكي ١: ٢٦٠ ــ ٢٦١ وألف باء ٢: ٢١٠.

بالغنى والكرامة، في دار الخلود والمقامة. فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلما أَضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم وأَنشد أَولهم يقول: [من الرجز]

يا إِخوتي إن العجوز الناصحهْ ... قد نصحتنا إِذ دعتنا البارحَهْ
مقالةً ذاتَ بيانٍ واضحه ... فباكروا الحربَ الضروسَ الكالحهْ
وإِنما تَلْقَوْنَ عندَ الصائحهْ ... من آل ساسانَ كلاباً نابحهْ
قد أيقنوا منكم بوقعِ الجائحه ... وأَنتُم بين حياةٍ صالحهْ
أَو ميتةٍ تورثُ غنماً رابحهْ

وتقدَّم فقاتل حتى قُتِل رحمه الله تعالى.

ثم حمل الثاني وهو يقول: [من الرجز]

إِن العجوزَ ذاتُ حَزْمٍ وجَلَدْ ... والنظرِ الأَوفقِ والرأي السَّدَّدْ
قد أَمرتنا بالسدادِ والرشدْ ... نصيحةً منها وبِرّاً بالولد
فباكروا الحربَ حماةً في العدد ... إِما لفوزٍ باردٍ على الكبد
أَو ميتةٍ تورثكم غُنْمَ الأَبد ... في جنة الفردوس والعيشِ الرغد

فقاتل حتى استشهد رحمه الله تعالى. ثم حمل الثالث وهو يقول: [من الرجز]

واللَّه لا نعصي العجوز حَرْفا ... قد أَمرتنا حَدَباً وعطفا
نصحاً وبراً صادقاً ولطفا ... فبادروا الحربَ الضروسَ زحفا
حتى تلفُّوا آلَ كسرى لفَّا ... أَو تكشفوهم عن حماكم كشفا
إِنا نرى التقصيرَ منكم ضعفا ... والقتلَ فيكم نجدةً وعرفا

فقاتل حتى استشهد [رحمة الله تعالى عليه]، ثم حمل الرابع وهو يقول: [من الرجز]

لست لخنساءَ ولا للأخرم ... ولا لعمروٍ ذي السناءِ الأَقدم
إِن لم أَردفي الجيش جيشِ الأَعجم ... ماضٍ على الهول خِضَمّ خضرِم
إِما لفوزٍ عاجلٍ أَو مغنم ... أَو لوفاةٍ في السبيلِ الأَكرم

فقاتل حتى قتل رحمة الله عليه وعلى إخوته. فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأَرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يعطي الخنساءَ أرزاق أَولادها الأَربعة، لكلٍّ واحد مائتي درهم، حتى قُبِضَ رضي الله تعالى عنه.

فائدة تعريفية:

في «جماهر الأنساب» (٢٢) لأبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى: من بني الحارث بن بُهْثة بن سُلَيْم: العباس بن مرداس وإخوته: هُبيرة وجزء ومعاوية وعمرو بنو مرداس وأُمهم جميعاً غير عباس وحده خنساء بنت عمرو الشاعرة.

فوائد لغوية:

قولهم في الحرب: شَمَّرتْ عن ساقها وجللت ناراً على أرواقها وهي القرون جمع رَوْق وهو القرن. وقولهم: إنها كالحة، والكالحُ الذي تتقلص شفتاه عن أَسنانه في حال عبوسه حتى تبدو أَسنانه، إنما يعنون بذلك شدَّتها وعظمَ المشقةِ فيها، وليس لها ساق تقوم عليها، ولا روق تستعمله، ولا شفة ولا أَسنان تكلحُ عنها، لكن لما كان ذلك من الأُمورِ التي تستعمل في حال الشدة والمشقة استعيرت للحربِ دلالةً على ذلك.

وكذلك استعارة الاضطرام، وهو الاحتدام أيضاً. واللظى وهو من أَسماء النار. والوطيس وهو التَّنُّور أَو شبهه يختبز فيه. إنما هي دلالات على شدتها وعظم المشقة أَيضاً؛ وقولهم: حَرْبٌ ضَروسٌ هي الشديدة الصعبة أَيضاً. قال الجوهري (٢: ٩٣٩): ضَرَسهم الزمان: اشتد عليهم، وناقة ضَرُوسٌ: سيئةُ الخُلُق تَعَضُّ حالبَها. وأَنشدوا في كتاب الحماسة (١: ٩٦)[1]:

وإِنِّيَ في الحربِ الضَّرُوسِ موكَّلٌ بتقديمِ نفسٍ لا أَريدُ بقاءَهَا

---

(١) انظر شرح المرزوقي رقم: ٣٦ وديوان قيس: ١٠.

تكملـة:

في «المشرع الرويّ»: في الحديث قوله عليه السلام: «الآن حَمِيَ الوطيسُ» قال المطرزي[1]: الوطيسُ شبه التَّنُّور يُخْبَزُ فيه، ويضرب مثلاً لشدّة الحرب، يشبه حرُّها بحره، وقال غيره: الوطيسُ: التَّنُّور نفسه، وقال الأصمعي: هي حجارةٌ مُدَوَّرةٌ إذا حَمِيَتْ لم يقدر أَحدٌ يطأ عليها، فيضرب مثلاً للأمر إذا اشتد، وقيل: الوطيسُ جمعٌ، واحدته: وطيسة، وهذه الكلمة هي من الكلام التي لم يُسْبَقْ إليها النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) في المغرب للمطرزي (٢: ٢٥٤) الوطيس: التنور... وعن الغوري: حفرة يختبز فيها ويشتوى. وأقدر أن النقل عن المطرز.

الباب الحادي عشر
في ذكر العرفاء

روى البخاري (٣: ١٣٠ ـ ١٣١) رحمه الله تعالى عن مروان بن الحكم ومِسْوَر بن مَخرَمة رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام[١] حين جاءه وفدُ هوازن مُسْلمين فسألوه أن يَرُدَّ إليهم أموالهم وسَبْيَهم، فقال لهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم: أَحَبُّ الحديث إليَّ أصدقهُ، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال، وقد كنتُ استأنيت بهم. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظر آخرهم بضعَ عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرُ رادّ إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإنا نختار سبينا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإن إخوانكم هؤلاء قد جاءونا تائبين، وإني قد رأيتُ أن أردَّ إليهم سبيهم، فمن أحبَّ أن يُطَيِّب[٢] فليفعل، ومن أحبَّ منكم أن يكونَ على حظِّه حتى نعطيه إياه من أولِ ما يفيءُ الله علينا فليفعل. فقال الناس: قد طيَّبنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لا ندري من أذن منكم فَي ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفعَ[٣] إلينا عرفاؤكم أمركم. فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا. انتهى.

---

(١) م ط: قال.
(٢) البخاري: يطيب بذلك.
(٣) البخاري: يرفعوا.

فوائد لغوية:

في «المنتقى» لأبي الوليد الباجي رحمه الله تعالى: العرفاء رؤساءُ الأجنادِ وقوادهم، ولعلهم سُمُّوا بذلك لأنهم بهم يُتَعَرَّفُ أَحوالُ الجيش.

وفي «الصحاح»: (٤: ١٤٥٢) العريفُ والعارف: بمعنًى، مثل عليم وعالم. وأنشدوا: [من الكامل]

أَوَ كُلَّما وَرَدَت عُكَاظَ قبيلةٌ بَعثُوا إِليَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوسَّمُ[1]

أَي عارفهم، والعريفُ: النقيب دون الرئيس، والجمع: عرفاء، تقول منه: عَرُف فلان بالضمّ عرافةً مثل خَطُب خطابةً ـ يعني بفتح الخاء ـ أَي صار عريفاً، وإِذا أردت أنه عمل ذلك قلت: عَرَف فلان علينا سنين يَعْرُف عِرافةً، مثل: كتب يكتب كِتابة، وفيها (١: ٢٢٧) النقيب: العريف، وهو شاهد القوم وضمينهم، والجمع: النقباء، وقد نقب على قومه ينقُب نِقابةً، مثل كتب يكتُبُ كِتابة. قال الفرَّاء: إِذا أَردت أَنه لم يكن نقيباً قلت: نَقُب بالضمِّ نَقابة بالفتح.

قال سيبويه: النِّقابة بالكسر: الاسم، وبالفتح: المصدر، مثل: الوِلاية والوَلاية.

وفيها (١: ٢٢٨) نكب على قومه ينكب نِكابة: إِذا كان مَنْكِباً لهم يعتمدون عليه وهو رأْسُ العرفاء.

---

(١) البيت في اللسان (عرف) لطريف بن مالك العنبري.

الباب الثاني عشر

في الرجل يدعو الناس وقت العرض

قد تقدم في الفصل الثالث والفصل الثاني عشر من باب كاتب الجيش[1] أن أبا داود (٢:١٢٣) رحمه الله تعالى روى عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتاه الفيء قسمه من يومه، فأعطى الأهل حظّين، وأعطى الأعزَبَ حظاً، فدُعِيتُ، وكنت أُدعى قبل عمار، فأعطاني حظين، وكان لي أهل، ثم دعي بعدي عمار بن ياسر فأُعطي حظاً واحداً.

وفيه دليلٌ على اتخاذِ مَنْ يدعو الناسَ وقتَ العرض.

---

(١) انظر ما تقدم ص: ٢٤٢، ٢٥١.

الباب الثالث عشر

في [ذكر] المحاسب

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
في محاسبة النبي صلى الله عليه وسلم عامِلَه على الصدقة

روى البخاري (٢ : ١٦٠)[١] رحمه الله تعالى عن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللُّتْبِيَّة، فلما جاء حاسبه.

وروى مسلم (٢ : ٨٤) رحمه الله تعالى عن أبي حميد الساعدي أيضاً رضي الله تعالى عنه قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على صدقات بني سليم يدعى ابن اللُّتبيَّة، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلا جلستَ في بيت أبيك وأُمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً؟ ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني أستعمل الرجلَ منكم على العمل مما ولاني الله فيأتيني فيقول: هذا مالكم، وهذا هدية أهديت لي، أفلا جَلَسَ في بيت أبيه وأُمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟ والله لا يأخذُ أحدٌ منكم منها شيئاً بغير حقِّه إلا لقي الله عز وجل بحمله يوم القيامة،

---

(١) قارن أيضاً بالبخاري ٣ : ٢٠٩، ٩ : ٣٦ فهناك أيضاً صورة أخرى من الحديث المتعلق بابن اللتبية.

فلأعرفنَّ أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيراً له رُغاء، أو بقرةً لها خُوار أو شاة تَيْعِر، ثم رفع يديه حتى رُئي بياضُ ابطيه يقول: اللهم هل بَلَّغْتُ بَصُر عيني وسَمِع أُذني .

فائدتان لغويتان:

الأُولى: في «الصحاح» (١: ١٠٩ ـ ١١١) حسبته أَحسبُهُ بالضم حَسْباً وحِسَاباً وحِسَابَةً، وحَسَبْتُهُ: عددته، والحِسْبَة أيضاً من الحساب مثل القِعْدَةِ والرِّكْبة.

قال النابغة[1]: [من البسيط]

فَكَمَّلَتْ مائةً فيها حمامتُها وأَسْرَعَتْ حِسْبَةً في ذلك العَدَدِ

والمعدود محسوب، وحَسَبٌ أيضاً، وهو فعَل بمعنى مفعول مثل نفض بمعنى منفوض، وحاسبته من المحاسبة، والحُسبان: الحِساب. قال الله تعالى: ﴿ الشمس والقمَرُ بحُسْبان﴾ (الرحمن: ٥) قال الأخفش: الحُسبان: جماعة الحِساب، مثل شِهاب وشُهبان، وحسبته صالحاً أَحسبَه بالفتح محْسَبة ومَحْسِبة، وحِسباناً بالكسر أي ظننته، ويقال: أَحسِبه بالكسر، وهو شاذٌ.

الثانية: يقال: رَغا البعير يرغو رُغاءً، وخارت البقرة تخور خُواراً، ويعرت الشاة تَيعر يُعاراً، كل ذلك: صياحها وأَصواتها على فُعال بضمِّ الفاء، قاله غيرُ واحدٍ.

الفصل الثاني
في محاسبة أَبـي بكر رضي الله تعالى عنه عُـمَّالَه

قال ابن قتيبة في كتاب «عيون الأَخبار» (١: ٦٠) قدم معاذ رضي الله تعالى عنه من اليمن بعد وفاةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم على أَبـي بكر رضي الله تعالى عنه فقال له: ارفع حسابك فقال: أَحسابان: حسابٌ من الله وحسابٌ منكم؟ والله لا أَلي لكم عملاً أَبداً.

---

(١) ديوان النابغة: ٢٥.

الفصل الثالث

في استقدام عمر رضي الله تعالى عنه عُـمَّالَه في كلِّ سنة ومحاسبته لهم

قال أَبو الربيع ابن سالم في كتابه «الاكتفاء»: كان عمر رضي الله تعالى عنه ملازماً للحج في سني خلافته كلِّها، وكان من سيرته أَن يأخذَ عماله بموافاته كلَّ سنةٍ في موسم الحج ليحجزهم بذلك عن الرعية، ويحجز عنهم الظلم، ويتعرَّفَ أَحوالهم في قرب، وليكونَ للرعية وقتٌ معلوم يُنْهونَ إِليه شكاويهم.

وقال المظفَّر[1] في كتابه المنسوب إِليه: كان عمر رضي الله تعالى عنه يحاسب سعداً رضي الله تعالى عنه فيغضب فيقول عمر رضي الله تعالى عنه: عزمتُ عليك أَلا تدعو على أَخيك ويضاحكه، وإِذا ذهب غضبه قال: تعال نتحاسب فإِنه اليومَ أَيسرُ عليك من غدٍ.

قلت: وسعد هذا الذي ذكره هو سعد بن أَبي وقاص القرشي الزهري رضي الله تعالى عنه أَحد العشرة أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المشهود لهم بالجنة رضي الله تعالى عنهم، وإِنما قال عمر رضي الله تعالى عنه: عزمتُ عليك أَلا تدعو على أَخيك لأنه كان مجابَ الدعوة.

قال أَبو عمر ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٦٠٧): وذلك أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم سدِّد سهمه وأَجب دعوته، فكان مشهوراً بذلك تُخافُ دعوته وترجى لاشتهار إِجابتها عندهم.

---

(١) المظفر: هو أبو بكر محمد بن عبدالله بن مسلمة صاحب بطليوس بالأندلس (٤٢٧ ــ ٤٥٦)؛ كان أديباً عالماً وكتابه المشار إليه هو المعروف بالمظفري في خمسين مجلدة يشتمل على علوم وفنون من مغاز وسير ومثل وخبر وأدب ويقال إنه لم يستعن في تأليفه إلا بكاتبه ابن خيرة (انظر ترجمته في الذخيرة ٢: ٦٤٠ والحلة السيراء ٢: ٩٦ والمغرب ١: ٣٦٤ والتكملة: ٣٩٣ وابن خلكان ٧: ١٢٣. وفي حاشية الذخيرة ذكر لمصادر أخرى).

الفصل الرابع
في مدح الشعراء للمحاسب بِعَدَمِ المسامحةِ في المحاسبة

فمن ذلك قول القاضي أَبي بكر أحمد بن الحسين الأَرَّجاني[1] يمدحُ كاتباً محاسباً أَنشده عماد الدين أَبو حامد الأَصبهاني في «الخريدة»: [من الكامل]

من بَلَّغَ الأَقلامَ فوق مدى القنا ... للملك يومَ تطاعُنِ الآراءِ
بخلائقٍ خُلِقَتْ لإدراك العُلا ... وطرائق حَظِيتْ بكلِّ ثناءِ
ويدٍ تشحُّ بِذَرَّةٍ إن حاسبت ... وبدُرَّةٍ منها أَقلّ سخاءِ
إن لم يسامح ثَمَّ فاطلبْ رِفْدَه ... ليريك كيف سماحةُ السمحاء

فائدتان لغويتان:

الفائدة الأُولى: في «المحكم»: أَرَّجَان موضع حكاه الفارسي، وأَنشد[2]: [من الوافر]

أَراد الله أَن يُخْزِي بُجَيْراً ... فَسَلَّطَنِي عَلَيه بأَرَّجان

وخففه بعض متأَخري الشعراء، فأَقدم على ذلك لعجمته[3].

قلت: هو المتنبي قال[4]: [من الكامل]

أَرْجَانَ أَيَّتُها الجيادُ فإِنَّه ... عزْمِي الذي يَذَرُ الوشيجَ مُكَسَّرَا

وفي كتاب «اقتباس الأَنوار» للرُّشاطي: «أَرَّجان» مدينةٌ بين فارس والأَهواز. ومن يكون منها يقال له: الأَرَّجاني والرَّجاني. انتهى.

الفائدة الثانية: في «ديوان الأَدب» (٣: ١١٩، ١٣٩): شَحَّ على الشيءِ بفتح الشين يَشُحُّ ويَشِحّ شُحّاً فيهما: بخل.

---

(١) ديوان الأرجاني ١: ٣٦.
(٢) البيت في معجم البلدان ١: ١٩٤.
(٣) هذا اتهام طريف للمتنبي يستثير الضحك حقاً، أو لعله يعني لعجمة المكان نفسه.
(٤) ديوانه: ٥٣٩.